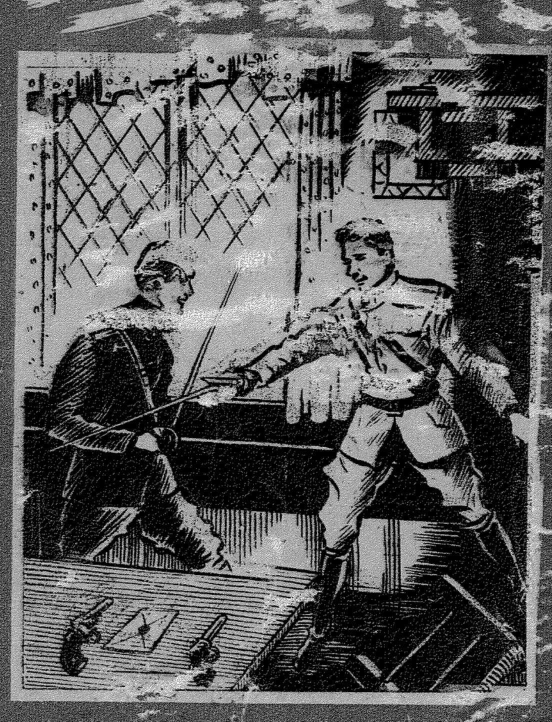


RUPERT OF HENTZAU

الثمن ١٠ قروش

عدد خاص

اهداءات ٢٠٠٢

اسرة الاستاذ/ محمد حسنين كرام

الاسكندرية

المغامر الجسور

Rupert of Hentzau

للكاتب الكبير

أنتـــونى هوب

نقلها الى العربية

نظمى راشد

المغامر الجسور

RUPERT OF HENTZAU

أشخاص الرواية

- **رودلف راسندل** : سيد انجليزى يشبه تمام الشبه :
- **الملك رودلف الخامس** عاهل روريتانيا
- الملكة **فليفيا** ، زوجة الملك رودلف ، وهى تحب راسندل شبيه زوجها الملك .
- الكولونيل **سابت** ، كبير ضباط حاشية الملك
- الكونت **فريتزفون تارلنهايم** : من حاشية الملكة
- الكونتس **هيلجا** زوجته
- الكونت **اوف لتزاو ريشنهايم** : نصير وقريب :
- **روبرت اوف هنتزو** : عدو الملك
- **اللازم برننشتاين** : ضابط فى حرس الملك
- **جيمس** خادم راسندل
- **سيمون** حارس صيد الملك
- **هربرت** : اخو سيمون . حطاب
- **بوير** : خادم سويسرى لدى الكونت فريتز ، ومن عيون روبرت ...
- **هلسنج** : مستشار الملك ! ووزيره
- زوجته وكريمته

الام هولف : من عيون روبرت

روزا : ابنتها ، من نصراء الملك

تعـــــريف

مكان هذه الرواية مملـكة وهميـة ، ابتدعها خيـال المؤلف الخصب ، وفرض وجودها بين دول اواسط أوربا ، متاخمـة لالمانيا .. وجعل لها عاصمة هى « استرلساو » ، وجعل للملك قلعة للاستجمام والصيد ، هى « حصن زندا » .

وملك هذه المملكة الوهمية ، التى سماها المؤلف «روريتانيا» هو صاحب الجلالة رودلف الخامس

وكان هناك شخص يشبهه تمام الشبه ، وقيل ان هذا الشبه ليس مصادفة خالصـة ، سواء فى القامة او فى جميع الملامح ، او الصوت . وهذا الشبيه هو « رودلف راسـندل » الشريف الانجليزى ، الذى التقى فيمـا سـلف من الزمان بالملك وهو يتجول للنزهة فى غابة زندا ، واتفق ان اعداء الملك بزعامة اخيه اوقعوا الملك رودلف الخامس فى الاسر .. فبادر رجال حاشـية الملك المخلصون الى احلال رودلف راسندل شبيهه الانجليزى محله ، فتوج ملكا فى يوم التتويج باسم الملك المأسور غيلة والذى بقيت قصة اسره سرا ، لانها جريمـة الخيانة العظمى .. اللهم الا اذا قضى عليـه او اختفى دون ان يذيع السبب ، فان أخاه يصير ملكا فى مكانه بحكم القانون ..

وساهم رودلف راسندل ـ الملك المزيف ـ فى اطـلاق سراح الملك الاصلى بعد مغامرات مثيرة جدا .. ولكنه لسوء الحظ كان قد وقع فى تلك الاثنـاء فى غرام الاميرة فليفيا ، خطيبـة الملك ، وبنت عمه ، التى ينبغى ان يتزوجهـا الملك لتثبيت وراثة العرش وحصرها فى بيته .. ولم تكن فليفيا تعلم فى هذا الوقت انه ليس الملك ، فاحبته كما احبها مقدرة بسالته ورقته ، ظنا منها انه ابن عمها الملك ، وقد صلح حاله واقلع عن ادمان الشراب .

فلما تكشفت لها الحقيقة الكاملة ، قدمت واجبها نحو اسرتها المالكة ووطنها ، على نداء قلبها العاشق ، فتزوجت الملك بعد ان فك أسره .

وعاد رودلف راسندل الى وطنه ، ولكنه واظب على التوجه كل سنة الى مكان ما فى اوربا ، حيث يلقاه فى يوم معين رسول من قبل الملكة ، هو فريتز ، فيقدم الى رودلف وردة حمراء هدية من مولاته ، ويحمله رودلف وردة حمراء مثلها هدية منه اليها . . .

وكان اعداء الملك جميعا قد اندثروا وقتلوا ، الا واحداً ، هو اشجعهم ، واوسمهم وامهرهم فى القتال ، واكثرهم طموحا وحبا للمغامرة ، ذلك هو الفارس الجسور الساقط المروءة « روبرت اوف هنتزو » الذى يستبيح فى سبيل مطامعه الاشعبية كل عرف وشريعة . . وهو بطل قصتنا هذه . . .

وقد فر روبرت بعد الهزيمة واندثار حزب اعداء الملك الى المانيا حيث اقام برهة . . بيد انه لم يكف قط عن تصيد الفرص للعودة الى مملكة « روريتانيا » مرة اخرى . . . ليثير الاضطراب ويستغل ما يعرفه من سر الملكة الحسناء وغرامها فى شق طريقه الى النفوذ والسلطان . . .

والقصة على لسان الكونت فريتز من حاشية الملكة فليفيا . ورسولها الامين الى حبيبها راسندل

وداع المملكة

ان الرجل المجرب يعلم ان كل حادث فى هـــذه الدنيا وان لم تكن له فى حد ذاته اهمية ، قــد تنجم عنه آثار تستفيض طـولا وعرضـا .. فلم يكن من المتـوقع اذن ان وفاة « ميكل » دوق استرلساوو الكثرة الغالبة من كبار اتباعه كانت خـاتمة جميع المتاعب التى نجمت عن صراعه مع أخيه الملك .

اجـــل ، ان الملك رودلف الخـــامس بات طليق السراح متربعا على عرشـــه مرة اخرى ولكن الصــــراع كان مـريرا ، فبذرت بذلك جراثيم العـداوة وقد ظن بعض النـاس انه مادام ميكل قد قضى ، ومادام الملك قد تزوج ابنة عمه الاميرة فليفيا ، ومادام السر مصونا ، فليس ثمت ما يخشى منه .

ذلك ماتحدثت به الى صديقى الكولونيل سابت ، ونحن بجوار فراش المـارشال سترا كنـكز الشيخ ، فقـد كان قائـد جيش روريتانيـــا فى بداية مرضـــه الذى حرمنا بعد ذلك سريعا من عـــونه ونصحـه ... فجـذب الكولونيل ســابت شـاربه ، ثم لوى سيجـــارة فى فمــه وهــو يجيبنى :

ـ انت شديد التفاؤل يا فريتز أفهل مات روبرت هنتزو انى لم اسمع بهذا بعد ...

وهــو قول ســديد ، يليق بالشيخ سابت ، بيد ان الرجــل يهون امره مالم تمكنه الفرصة ، وما كان لروبرت وحــــده ان يضيرنا . فهو لايجرؤ على ان يطأ بقدمه ارض روريتانيا التى نجاه بالفرار منها حسن طالعه الفريد وهو يتسكع الآن هنـا وهنـاك فى أوربا ، محتالا على الرزق .. ولكنـه لم يكف قط عن تدبيـر الخطط للعودة الى الوطن حيث مات عمه تاركا له فيه بيتا وعقارا زراعيا ، فلم يمس كما كان مغامرا مفلسـا ...

وكان وسيطه الذى تجاسرعلى تحميله رسائله الى الملك نفسه قريبا له شابا ، هو «الكونت اوف لتزاو ريشنهايم» وهو رجل سامى المقام واسع الثراء كان على استعداد للقيام باى مطلب يطلبه روبرت ٠٠٠ وكانت الرسائل التى بعثها بوساطته كثيرة ولكنها جميعامن نوع واحد : هو الاعتذار بان روبرت كان صغيرا ، فوقع تحت تأثير الدوق ميكل ، ولكنه يتعهد ان يصبح فى المستقبل خادمامخلصا للملك ٠٠ فكان المعنى الذى يرمى اليه أن«اعطنى الثمن فاسكت عن البوح بالسر » ٠٠

ولم يعر الملك تلك الالتماسات التفاتا بطبيعة الحال ٠ فقد كان الملك ومستشاروه يعلمون حقيقة خلق روبرت تماما العلم ٠٠٠ فكان يحبس المال الذى قد تغله لروبرت اراضيه،ويرقب حركاته قدر الامكان ٠٠ لاننا كنا عازمين على الا نمكنه من العودة الى روريتانيا بتاتا .. وكان فى الوسع ان يستصدر امرا بالقبض عليه فى المانيا ثم يرسل الى الوطن لمحاكمته . . ولكنا خشينا ان يؤدى ذلك الى اعلان سرنا الذى حرصنا على كتمانه ..

ومع ذلك فقد اصاب « سابت » فى مقاله عنه ٠ ٠ فلن روبرت على ما يبدو من عجزه لم يقنط لحظة من سنوح الفرصة له يوما ما

فهو يحوك المؤامرات ضدنا كما نحكم نحن التدابير لحماية انفسنا منه ٠ ولئن رصدنا حركاته ، فقد كان يرقب حركاتنا ٠ وقد زاره الكونت اوف لتزاو ريشنهايم فى باريس ، ويظهر انه بات منذ هذا الوقت مزودا بالوفير من المال ، فأتاح له ذلك ان يستأجر الجواسيس ليطلعوه على كل مايدور فى بلاط الملك ٠٠ فصار أحسن الناس جميعا فيماعدا أهل الحاشية دراية بما يساس من أمور الدولة ٠٠ وصار فضلا عن هذا عليما بكل مايتعلق

بحالة الملك الصحية ، مع شدة التمسك بكتمان هذا الموضوع عن جميع الناس .

ولو ان اطلاعه وقف عند هذا الحد لما كان منه الا القليل من الضرر الجدى وان كان مما يزعج . ولكنه تعدى ذلك الحد باطلاعه ، فقد انتفع بالمعلومات التى حصل عليها اثناء مدة حلول المستر راسندل محل الملك على العرش فى اكتشاف السر الذى افلحنا فى كتمانه عن الملك نفسه .. فسنحت له بذلك اخيرا الفرصة التى كان ينتظرها .. و كانت تلك الفرصة هى استخدام هذه المعلومات استخداما جريئا .ولا أستطيع القطع برأى فى هل كانت الرغبة فى استرداد مكانته فى البلاد أقوى دافعا لديه أم كراهيته لمستر راسندل هى الدافع الاقوى .. فهو يحب السلطان ويحب المال .. ولكنه يحب الانتقام كذلك . ولا شك انه كان مسرورا اذ عرف أن السلاح الذى فى يده ذو حدين ، فباحدهما كان يتمنى ان يشق لنفسه طريقا ، وبالحد الآخر كان يطمع فى الاضرار بالرجل الذى يكرهه عن طريق المرأة التى يحبها ذلك الرجل .. فقد اكتشف روبرت بفضل جواسيسه الغرض الذى من أجله كنت أقابل المستر راسندل مرة فى كل عام .

وقد انقضى الآن على زواج الملك من الاميرة فليفيا ثلاث سنوات . وكذلك انقضى نفس الامد على زواجى من قرينتى العزيزة .. ومن حبى لها استطعت ان ادرك طرفا من الاسى الذى يملأ قلب الملكة .. فليس ادراك ذلك كل الادراك مستطاعا الا لامرأة .. وان عينى امرأتى لتمتلئان بالدمع الى الآن حين نتحدث عن ذلك الاسى . وماذلك لأن الملكة فليفيا لم تحب الملك يوما واحبت رجلا سواه بكل قلبها فحسب ، بل لأن صحة الملك

التى انهكتها مدة سجنه الرهيب فى قلعة زندا ، سرعان ما تداعت نهائيا . أجل انه حى ، بل ويستطيع الصيد والقنص ، ويصرف بنفسه بعض شئون الحكم .. بيد أنه ظل منذ ذلك اليوم الذى اطلق فيه سراحه صريع المرض ، غاصا بالاوجاع ، شديد المباينة لذلك الامير السعيد الذى اوقع به رجال ميكل فى بيت الصيد . . قبل التتويج ..

بل هناك ماهو شر من ذلك، فان ماكان يشعر به الملك قبلا من عرفان الجميل والاعجاب بالمستر راسندل قد تلاشى بمرور الوقت . وبدأ يفكر تفكيرا متزايدا فى الاحداث التى وقعت حينما كان سجينا . وكان يشعر بالخوف من روبرت هنتزو الذى عانى كثيرا جدا على يديه، وصار يغار من المستر راسندل ، لان هذا الانجليزى هو الذى قام بالاعمال التى يهتف الشعب للملك من أجلها . . حتى لقد صار الآن يستشيط غضبا لمجرد ذكر اسمه . . فاذا قال «سابت» ان راسندل فعل كذا أو كيت ، وانه ينبغى للملك ان يترسم خطى هذه الاعمال فى المستقبل .. اخرج قوله هذا ، الملك رودلف عن طوره . .

وكانت الملكة تتحمل هذا كله بصبر ليس ادعى منه الى الدهشة والعجب .. ولكنها كانت امرأة قبل كل شيء . . فهى ترسل الى الرجل الذى تحبه بضع كلمات ، مرة فى كل سنة ، وتتلقى منه مثلها جوابا عليها .. فخانتها قواها آخر الامر ، ونشب بينها وبين الملك تلاح يثير الاشفاق بمحضر من سابت ومنى ، فوجه اليها الملك من الكلام مالم تكن لتسمعه ولو على انفراد بدون ان تشعر بجرح يصيب كرامتها . .

وقد وقع ذلك قبل مغادرتى ألمانيا ببضعة أيام لكى أقابل مستر راسندل موفدا من الملكة . فاستدعتنى الملكة لمقابلتها فى

حجرتها بعـــد أن فارقت الملك ببضع ساعات ٠فوجدتها واقفة بجانب المائدة ، وفوقهاالصندوق٠ ٠ فأدركت ان الوردة الحمراء والرسالة السنوية في داخله٠٠ولكن الواقع أن الامر في هذه المرة كان يعدو المهمة العادية ٠

قالت لى الملكة :

ـ لابد لى من الـــكتابة اليه يا فريتز . لم اعد أســـتطيع الاحتمال ، ولامفر من الكتابة٠وستحمل رسالتى هذه اليهبأمان ياصديقى العزيز ،أليس كذلك؟ وكذلك يجب ان يكتب هو الى ، وستحمل الىجوابه فىأمانأيضا،أليس كذلك؟ آه يافريتز ٠انى اعلم ان هذا خطأ ، ولكن لاحيلةلى،فستكون هذههىالمرةالاخيرة٠ فانى اعلم الآنانني انبعثتاليهمرة فسأبعث اليه مرارا ٠ولهذا فسوف لا أبعث بعد هـذه المرةاليه أبدا ٠ بيد اننى ينبغىأن أكتب اليـــه مودعة ،وأن يأتينىوداعه كي يـكون زادا لى طول حياتى،فقم بتلكالمهمة فى هذهالمرة يافريتز ، وستكون الفريدة ، من أجلى

وكانت الدموع تنحدر عـــلى وجههـا ، فحنيت راسى وقبلت يدها، وقلت :

ـ سأحمل رسالتك فى أمان بعون الله واحمـل أليك جوابه عليها فى أمان كذلك ياصاحبةالجلالة ٠

ـ وخبرنى كيف يبدويافرتيز وانظـر هل هو بخير . واجعله يضحك ويشـــعر بالسعادة .!واحمل الىشفتيه تلك الابتسامة يافرتيز والى عينيـه تلك النظرةالمرحة التى كنا نعهدها فيهما ، وهاك الخطاب .

كذلك غادرت الملكة ومضيت كي أعـد عدتى للسفر ٠ وكان من عادتى أنأصحب خادماواحدافقط،وكنت فى كل سنة اختـار

لصحبتي شخصا مختلفا من الخدم، فلم يعرف أحد منهم انني كنت اقابل المستر راسندل ، فقد كنت ازعم انني فى بعض شئوني الخاصة .

ولما كان امرى قد عرف فى السنة الماضية فى مدينة درسدن، فقد اتفقت أنا وراسندل على المقابلة في « ونتنبرج » فهي بلد اصغر من درسدن واوفر منه لدواعي الامان، وقررت ان آخذ معي هذه المرة رجلا يدعى «بوير»، وهو شاب سويسرى التحق بخدمتي حديثا، وكان يبدو امينا واقرب الى البلاهة . ولما كان اجنبيا فلم يكن من المنتظر ان يكثر الكلام مع الخدم الآخرين .

ولست أزعم نفسي رجلا من أهل المهارة أو الحذق ، ولكنني مع هذا ما زلت اشعر بالخزى من الطريقة التى استطاع بها هذا الابله المظهر ان يغرر بي أو يتغفلني ، « فروبرت » كان يعلم انني قد قابلت راسندال في العام السابق بمدينة «درسدن» ، وكان هو الذى ارسل « بوير » الى بخطابات توصية طيبة تحسن الشهادة له ، ومن حسن طالع «روبرت» انني قررت اصطحاب هذا المخلوق فى رحلتي الى «ونتنبرج» .

وذهبت لكى استأذن الملك مودعا ، فوجدته جالسا بقرب النار مع ان اليوم لم يكن قارس البرد ، فسألني عن رحلتي في شيء من الضيق ، فبذلت جهدى كى اتجنب الدخول فى التفصيلات . فقال ، بلهجة الشكوى :

ــ اشغال ؟ اجل! ان اى شغل تعلة كافية صالحة للتخلى عنى . فهل من ملك يخدم أسوأ مما أخدم ؟ لماذا اذن عنيتم انفسكم باخراجي من زندا ؟ ما من احد يريدني . وما من احد يعنيه أن انا عشت او مت .

ــ ساعود يا مولاى باسرع ما استطيع .

ـ افعل فانى بحاجة الى من يعنى بى فمن يدرى ماذا يدبر الآن ذلك الوغد روبرت هنتزوضدى؟ وأنا لا أستطيع دفاعا عن نفسى . أليس كـــذلك ؟ اننى لســـت رودلف راسندل . أليس كذلك؟

ولم أستطع جوابا على ذلك ، فبقيت صامتا فى انتظار ان يأذن لى بالانصراف . فهو على كل حال لم يكن يساوره شىء من حقيقة الباعث لى على السفر ، وذلك ما حمدت الله عليه .

وصرفنى أخيرا فذهبت لأرى الكولونيل سابت . فلما اخبرته بخطاب الملكة لم يبد عليه السرور ، وقال :

ـ اقض على الخطاب اذا بدا اى نذير بالخطـر ، واقض على نفسك ايضا مع الخطاب اذا لم يكن امامك غير ذلك .

واستأنف مزمجرا :

ـ الله وحـده يعلم لماذا تريدان ترسل خطابا فى مثل هـذا الحمق ، ولكن مادامت تريد ذلك ، فقد كان الاولى ان تبعثنى انا به .

فاجبته :

ـ من الخير ان تكون هنـا ، حتى اذا ضاع منى الخطاب لاى سبب من الاســـباب كان فى استطاعتك ان تحـول دون وصوله الى يد الملك .

فأجابنى مبتسما :

ـ قد استطيع ذلك . ولـكن يالها من مخاطرة فى ســبيل خطاب ! وما أهونه شيئا يوزن به أمن مملكة بأسرها .

ـ من سوء الطالع ان الخطابات هى كل مايستطيع الرسول ان يحمله بين المتراسلين .

ـ ليـكن ، امض الآن وابلغ راسندل عنى أنه أحسن البلاء . وقل له ان يفعل شيئا فوق الذى فعل .. ان يطارحا الوداع ويحسما

هذا الامر حسما نهائيا ، أم تراه سيقضي طول حياته مفكرا في امرأة لن يقدر له ان يراها؟

فقلت له :

ــ وماذا أمامه ان يفعل غير هذا ؟ فعمله هنا قد انتهى .

فأجابني :

ــ أجل ، انتهى ... ولكن من يدرى ؟

ومضيت الى بيتي لكي أودع زوجتي ، فاكتشفت أمرا كنت اجهله ، فان الكونت « لتزاو ريشنهايم » قد غادر استرلساو فجاة . وكان ظاهرا جدا انه كان ذاهبا للقاء « روبرت » ، بيد أني لم أعر الامر كبير التفات ، لإنه كان امامي من الاعمال ما هو اولى . فارسلت « بوير » بأمتعتي وكلفته ان يعد الامر بحيث تكون مركبتي امام الباب في الوقت المناسب . وكانت زوجتي « هلجا » قد شغلت نفسها باعداد مقتضيات الراحة لي في سفري ، فجاءت الان لكي تودعني . وقد بدا عليها القلق مع انها حاولت ان تخفي جميع علاماته . فلم تكن تميل الى اسفاري هذه ، وتخال فيها من المخاطر والمجازفات ما لم اكن ارى له وجها ، ولهذا لم ابح لها بالعنصر الجديد الخطير الذي احمله هذه المرة .

وقالت زوجتي ، وهي تدرك من سعادتها معي حقيقة شعور الملكة في بعدها عن حبيبها :

ــ احمل راسندل على ان يبعث اليها برسالة ودود يا فريتز ، كي تكون لها فيها سلوة . ووداعا يا عزيزي .

ــ اني واثق انها ستكون كذلك .

فقد كنت اعلم ان راسندل لابد مرسل ردا على خطابها ، وقد وعدت الملكة ان احمل اليها ذلك الرد في امان .

وكذلك انطلقت مطمئن النفس، وفى جيبى الصـــندوق الصغير ورسالة وداع الملكة ، وفى عزمى كما اوصانى الكولونيل سابت ، ان اقضي عليهما ، وعلى نفسى اذا لزم الامر ، فالمرء لا يخـــدم الملكة فليفيا بسريرة غير خالصة .

محطة بلاعربة

كانت ترتيبات مقابلتي معمستر راسندل قد أعدت بعناية عن طريق الخطابات قبل انيبرحانجلترا . فكان عليه ان يكون في فندق الاسدالذهبي فيونتنبرج فيالساعةالحاديةعشرة من ليلة الخامس عشر من اكتوبر .وكنتاؤمل ان اصل الى تلك المدينة فيما بين الثامنة والتاسعة منالمساء نفسه ، فاتجه الى فندق آخر ، ثم اتسلل منه فازوره فيالساعة المعينة من قبل ، فاعطيه الصندوق والرسالة واتلقى منهجوابه عليها ثم امتع النفس بتلك اللذة النادرة التي يستشعرهاالمرء حين يتحدث اليه حديثا مستفيضا . وفي بكرة الصباح التالي يكونهو قدغادر ونتنبرج، واكون انا في طريق عودتي الى استرلسلو .

وكنت اعلم انه سوف لايقصرفي المحافظة على الموعد ، كذلك كنت واثقا من قدرتي على القيامبما يخصني من الاتفاق . ومع ذلك فقد حصلت على اذن منالملك بالتغيب اسبوعا تفاديا لما قد يحدث . ولما كنت شاعراانني قد فعلت كل ما في الامكان التحرز من الفشل وبارحاتالنحس ، فقد ارتقيت القطارآمنا مطمئنا . وكان الصندوق الصغيرفي أحد جيوبي الداخلية ، أما الخطاب فكان في حافظة نقودي ،وكان في امكاني ان اتحسس موضعهما فأحس بهما جميعا .وكنت كذلك أحمل مسدسا .

وانتهت المرحلة المسائية منالرحلة ، فدخل على « بوير » في الصباح فأعاد حزم حقيبة يديثم حمل الى قدحا من القهوة . وكانت الساعة تناهز الثامنةصباحا ، وقد وصلنا الى محطة على شيء من الاهمية ، سوفلايقف بعدهاالقطارالى انينتصف النهار ، وغادرني «بوير» فرأيتهيدخل مقصورته فيالدرجة الثانية فاستسلمت للنعاس مرة اخرىلانني كنت وحيدا في مقصورتي.

واستيقظت عند ماوقفالقطارفي الظهيرة ، وخطر لي ان ارسل

من هنـــاك ببرقية الى زوجتى«هلجا» ، فانها ليست حرية ان نطمئنها فحسب ، بل ستصـــلبذلك الى الملكة اطراف عن مدى تقدمى فى اداء مهمتى . وفيمـــاأنا داخل مكتب البرق ، قابلت «بوير» خارجا منه ، فبدا عليهمن الدهشة لذلك اللقاء اكثر مما بدا على وجهى ، بيد انه اخبرنىببديهـــة حاضرة انه كان ببرق لحجز مكان بالفندق فى ونتنبرجولم تكن هناك حاجـة الى ذلك ، اذ ان الفنادق لن تكون غاصة ، ولأنى لـم اكن اريـد ان الفت الانظار الى وصولى . ومهما يكنمن شيء ، فانى لم اكن لاصارح «بوير» بذلك ، لهـــذا تجاوزتهصامتا وانا اشعر بكثير منالضيق وعلى ضوء ماحـــدث فيما بعداستطعت ان ادرك انه ارســـل برقية أخرى فضلا عن برقيتهالى الفنـــدق . ولكننى فى ذلك الحين لم اشـــك فى الامر ادنىشك .

ووقف بنـــا القطار مرة اخرىقبل ان نصـــل الى ونتنبرج ، فاخرجت رأسى من النافذة لأشاهد ماحـــولى ،فأدهشنى أن أرى «بوير» واقفا قرب عربة البضائعوالحقائب ، فلم استطع الاهتداء الى ماعساه يفعل هناك ، ولكننىعلمت جليـــة الامر بعـــد ذلك بقليل .

واشعلت سيجـــارا وقد عمالقطار بالســـير ثم استويت فى مقعدى ، ولكنى بعد لحظة واحدةقفزت واقفا على قدمىوقدسقط السيجار من فمى وتدحرج علىالارض ، ففى اللحظة التى كان فيها القطار يغـــادر المحطة رايتحمالا يحمل حقيبتـــى الخاصة فوق ظهره ، ولم يكن هناك محلالخطأ لانني عرفتها على الفور ، ولا شك فى اعتقادى ان « بوير»ماكان ليأمر باخراج حقيبتى من عربة الحقائب ابدا ، فمهمتـــهحراسة حقيبتى .

ولكن ما من شيء يمكن عمله الآن فى هذا السبيـــل ، فلا بد من

وجودى فى ونتنبرج هذا المساء سواء بحقيبتى او بدونها ، ولم يقف القطار بعد ذلك الى انوصل الى ونتنبرج فى موعده المحدد .

وانتظرت لحظة او لحظتين متوقعا حضور « بوير » كى يحمل حقيبة يدى ومعاطفى ولكنه لم يحضر فنهضت وغادرت القطار ولم يلبث المسافرون القلائل ان تبددوا ، فوقفت اتطلع منقبا عن خادمى وحقيبتى ، ولكن لم يبد لهما من اثر .

وبعد نحو خمس دقائق توجهت الى ناظر المحطة لكى اشرح له الامر . ولما كان «بوير» يحمل تذاكر الحقائب ، فلم يخف ناظر المحطة عنى عدم تصديقه لروايتى فقال لى باسما : ان الخادم لابد قد تخلف مصادفة ، وكذلك الحقيبة، فقلت له :

ـ ليكن ، اخبره اذن حينما يصل ...

ولكن ناظر المحطة قاطعنى فى فظاظة قائلا :

ـ انه لن يصل الليلة . فليس ثمت قطار آخر .

وحينئذ بدات اشك فى (بوير) المرة الاولى ، وتذكرت اننى لا اعرف عنه الا اقل القليل . فتحسست جيوبى بسرعة وشعرت براحة عظيمة حينما وجدت الصندوق والخطاب والمسدس موجودة جميعا فى مأمنها فلئن راح بوير يتصيد ما يريد فى الحقيبة ، فقد آب لعمرى بخفى حنين .

ولامر ما خطر ببالى فى هذه اللحظة الكونت ريشنهايم . ترى اين ذهب ؟ هل لرحلته صلة برحلتى من اى وجه ؟ وكذلك غادرت المحطة وانا اشعر بغير قليل من الاضطراب وغير قليل من القلق .

ولم ار خارج المحطة اثرا لاى عربة . وكنت أعلم ان المحطة تقع خارج المدينة ، فقد جئت هذا المكان من قبل ، فقطع مثل هذه المسافة سيرا على الاقدام مع حمل حقيبة ومعطفين امر

ممكن طبعا ، ولكنه ليس شائقا . وازداد تلهفي على مقابلة مستر راسندل وتسليم الرسالة الخطرة التي أحملها اليه باسرع وقت مستطاع .

وقلت لناظر المحطة غاضبا ، وكان لايزال بمرای منى :

ــ لماذا لاتوجد لديكم عربات؟

فأجابنى فى لهجة اكثر تادبا هذه المرة :

ــ أن العربات متوافرة فى العادة ، ولكنها الآن بالمصادفة . . فصحت به :

ــ بالمصادفة ؟ هل كتب على رحلتى ان تكون قائمة مصادفات؟

ــ أجل ياسيدى . فقد وصل قبل قطارك توا قطار بطىء ، ولا يكون فيه فى العادة الا نفر قليل من الناس ، ولكنه هذه الليلة جاءنا بعدد من الشبان ، يبلغون الخمسة والعشرون على الاقل ، فنزلوا منه وتسلمت أناتذاكرهم بنفسى ، وقد جاءوا جيعا من اول محطة قبل محطتنا ، والعجيب من امرهم ان كل واحد منهم قد استاجر عربة مستقلة لنفسه ، ثم انطلقوا ضاحكين صاخبين .

فقلت فى نفسى :

ــ اتلك مصادفة حقا ؟

ثم سالت الرجل :

ــ اى طراز من الناس هم ؟

ــ من كل طراز ياسيدى . ففيهم من عجبت لأمرهم . . . من اين لهم المال يستقلون به العربات .

وازعجنى ذلك الذى سمعت ولكن كان على ان امضى قدما ، فاقرات ناظر المحطة تحية المساء وشرعت امشى فى الطريق الى المدينة ، حاملا الحقيبة واحد المعطفين ، أما المعطف الآخر فكان على جسدى .

• وكانت الظلمة سائدة ،والمصابيح قليلة ، وما من احد يرى فى اى موضع ، وليس ثمت بيوت او ابنية . فالاشجار العالية على جانبى الطريق تبدو كانها تتوعدني،وقد نبتت فى نفسى تلك المخاوف الأخيرة . والواجب على الرجل الذى يتوقع خطرا يتهدده ان يتاهب للاقاته لا ان يفكر فيه فلو اننى انتهجت هذه القاعدة ، وفتحت عينى متيقظا لما حولى ،لكنت حريا ان اتجنب الوقوع فى الشرك ، اوعلى الاقل كان يتوافر لى من الوقت ماأعدم به الخطاب . .

وقد حدث الامر كله فى دقيقة واحدة ، فقد سمعت اصواتا تتهامس بين الأشجار ، ثم وقع على هجوم مفاجىء ، ولما كنت راغبا عن القتال مادام الهرب ممكنا، فقد وليت الادبار ، وكانت انوار المدينة تتراءى امامى .

ولاحقتنى خطوات عادية ، ثم سقطت على وجهى وقد عثرت بحبل كان ممدودا لى عبر الطريق فبادر اشخاص آخرون من كل جانب وامسكوا بى . وصاح احدهم :

ـ اقلبوه ظهرا لبطن !

وعرفت الصوت تمام المعرفة، فقد كان صوت الكونت ريشنهايم . واطاع الرجال الامر فقلبونى على ظهرى . وخيل الى ان فرصة سنحت لى فالقيت الرجال بعيدا عنى وقفزت على قدمى ، بيد ان شخصا آخر لم اكن قد رايته هجم علي هجوما وحشيا ولكمنى فالقى بى ارضا، وانشب اصابعه فى عنقى وهو جاثم فوق صدرى ، فاستطعت ان ارى وجهه خلال الظلمة . فقد كان روبرت هنتزو .

وسمعت صوت ريشنهايم يقول :

ـ اين الحقيبة التى كان يحملها ؟

فاجابه روبرت وهو يضحك :

ــ ايهــا الاحمق . انه يحمله ولا ريب فى جيــوبه . امساك به ريثما افتشه .

وكانت يداى مقيدتين تقبيداشــــديدا الى جانبى . اما يد روبرت اليسرى فلم تفلت رقبتى، فى حين ذهبت يمناه تفتش كل موضع فى ثيابى . فلما عثر على مسدسى واخرجه ضحك ثانية، فلما وجد الصندوق واخرجــه لمعت عيناه وصاح فى لهفة :

ــ هاتوا نورا هنا !

فحمل اليه احد الرجال مصباحا فأوقده . وفتـــح روبرت الصندوق مغتصبا الغطاء ، فلمارأى ما بداخله صـــاح مسرورا ووضعه فى جيبه .

واخــذ ريشنهايم يتعجله قائلا :

ــ اسرع اسرع ! لقد حصلنــا على ماكنا نريد ، وربمــا مر احد فى اى لحظة .

وســـــاورنى الرجاء برهة ، فضياع الصنـــدوق كان كارثة ، ولكن اذا تسنى لى ان انجــــو بالخطاب . .

بيــد ان روبرت لم يكن على عجل من امره فقال :

ــ لا ضير من تفتيشــــه كما ينبغى على كل حال . .

فتبدد املى . وقد عثر بعد لحظة على الخطاب بالفعل . ولا انسى ابدا تلك النظرة التى ارتسمت على وجهـــه عند ماقراه فى ضوء المصبـــــاح . وكان وسيما كالعهد به ، وشفتاه مزمومتين فى تحد كالعهد بهما ايضا .

ووضع ريشنهــايم يده على كتفه وقال له مرة اخرى فى صوت ينم عن الخوف :

ــ اسرع ياروبرت !

فقال له روبرت :

ــ دعني يارجــل ! فما قرات شيئا مثيرا كهذامنذ زمن طويل!

وراح يضحك بصوت مرتفع وهو يدعو ريشنهــايم الى القاء نظرة على الخطاب ، وكان الغضب قد زودني بطاقة جديدة من القوة، في حين ان روبرت خفف قبضته عني ، فرايت فرصتي سانحة ، فالقيته بعيدا عني بحركة مفاجئة وحاولت ان استولى على الخطاب ولكنه قفز الى الوراء ، خوفا على كنزه الثمين . فانتزعت ذراعي من الرجال الذين كانوا قابضين عليهمــا وهجمت على روبرت ، فتــوارى خلف الرجــل الذي يحمل المصباح ثم دفع الرجــل فالقاه فوقي ، ولكن المصباح وقع على الارض .

وسمعت روبرت يقول :

ــ اعطني عصاك . اين هي ؟ هاتها ! .

فأجابه ريشنهـــايم بصوت مضطرب :

ــ لقــد وعدت ياروبرت الاتقتله ! .

فكان جوابه الوحيــد ضحكة وحشيـــــة قصيرة . فالقيت الشخص الذي كان روبرت قــد القاه فوقي بعيدا ، وهجمت على روبرت نفسه . فرفع العصا ، وقبــل ان اتمكن من القيام بأي شيء كان قد ضربني على ام راسي فهويت على الارض .

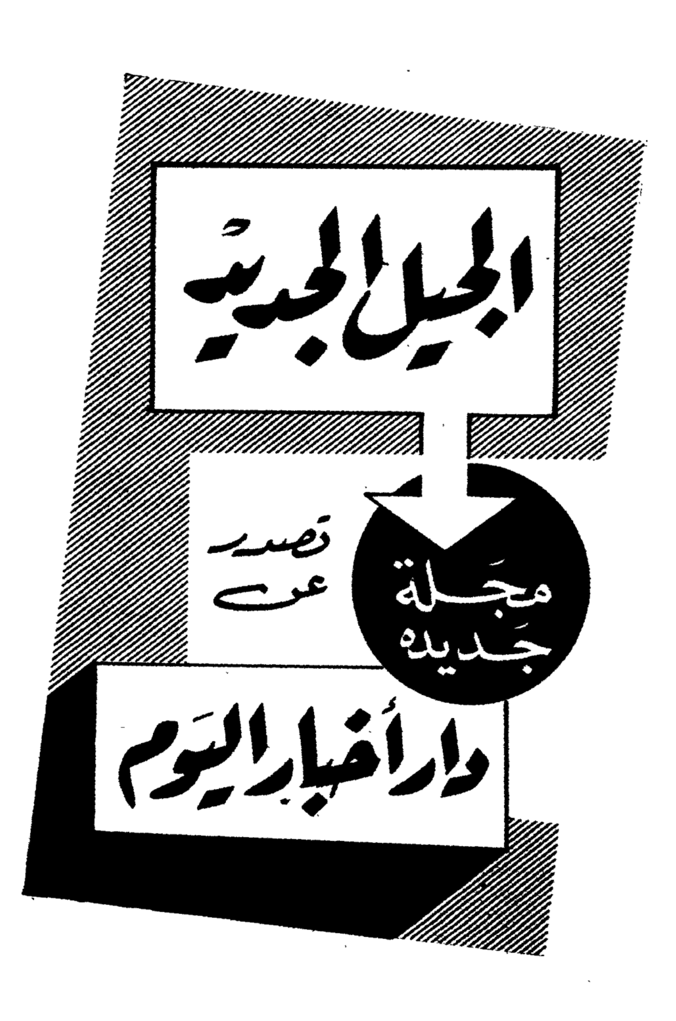
وقبل ان افقد وعيي سمعت جملة اصــــوات ، بينها صوت ريشنهايم متوسلا الى روبرت ان يتذكر وعده ولكن ماقيمة الوعد في نظر روبرت ؟

ثم سمعت وقع خطـــوات مسرعة وصيحات ، وطلقا ناريا . .

ولم اســمع ولم اع بعد ذلك شيئا ، فظللت ملقى على قارعــة الطــريق دامي الراس ، وخطاب الملكة في حوزة روبرت هنتزو .



محطة بلا عربات



الجيل الجديد
مجلة جديدة
تصدر عن
دار أخبار اليوم

الحب زندا ثانية

لقد كان من حسن الطالع الفريد الا يتعلق عمرى بذلك الوعد الضعيف السند الذى قطعه روبرت على نفسه لابن عمه ريشنهايم ولم اكن قد تصورت حقيقة تلك الاصوات التى سمعتها قبل ان افقد رشدى . وجليتها ان سائق عربة امينا كان يسلك الطريق مع ثلاثة او اربعة من رفاقه فى اللحظة نفسها التى رفع فيها روبرت عصاه لكى يجهز علي . . . فقفز هؤلاء النفر البواسل من العربة وهجموا على روبرت ورجاله . . . وقيل لى فيما بعد ان واحدا منهم فقط هو الذى اراد ان يصمد ويقاتلهم — وقد حدست من عساه يكون — بيد ان الآخرين جذبوه بعيدا ، واطلق روبرت أو أحد رفاقه الرصاص من مسدسه لكى يحول دون تعقب رفاق سائق العربة لهم . . . فعادوا الى ، وانتشلونى ثم وضعونى فى العربة .

وقال قائل منهم :

— من الخير ان ناخذه الى المستشفى . . .

وفى هذه اللحظة افقت ، فصحت قائلا : —

— كلا ! كلا ! بل الى فندق الاسد الذهبى .. اسرعوا .. لكم جنيه اذا حملتمونى الى فندق الاسد الذهبى . . .

فلما رأوا انى بصير بأمرى ، اتجهوا نحو الفندق الذى كان رودلف راسندل نازلا به . وكان كل تفكيرى منصرفا الى اخباره بما وقع . . .

وكان هناك واقفا عند باب الفندق فى انتظارى ، مع ان الساعة لم تكن قد بلغت الحادية عشرة بعد .. فلما اقتربنا ، رايت قامته العالية المنتصبة وشعره الاحمر ، على ضوء مصباح الشارع . وبحق السماء لقد شعرت حينئذ شعور الطفل الضال بصرت عينه

بامه ! .. فمددت يدى من فوق جانب العـــربة ، وكان كل ما استطعت ان اقوله له :

ــ لقد اضعته !

فاندفع عند سماع هذه الكلمات متقدما نحوى، ثم التفت بسرعة الى سائق العربة وقال له :

ــ هذا السيد صديق لى . . فاعطنى اياه ، ولى معك حديث فيما بعد . . .

فحملنى الرجال من العربة ، وحملنى راسندل نفسه الى داخل الفندق . . . وكان فى البهو شخص او شخصان ، بيد انه لم يلق اليهما بالا . بل اخذنى وصعد بى الى حجرته ، ثم اجلسنى فى مقعــد ذى ذراعين ، ووقف قبالتى .. وكان يبتسم ، ولكن القلق كان يطل من عينيه . . .

وكنت قد استعدت صــــفاء ذهنى فى ذلك الحين، فكررت عليه، وانا انظر اليه نظرة اشفاق شديد:

ــ لقد أضعته . . .

فأجابنى . . .

ــ لا باس ! فهل تستطيع ان تذكر لي كيف وقع هــــذا ، او تؤجله الى حين ؟

فقلت :

ــ بل اذكـــره الآن .. ولكن اسقنى شيئا من الشراب اولا . .

فقدم لى كاسا ، وشرعت اقص عليه ماوقع .. وكنت على خور قواى ، غير مختلط الذهن ، فرويت له القصة فى ايجاز وبيان ، ولم تبدر منه بادرة الى ان اشرت الى الخطاب . فصـــاح فى مزيج من الفرح والانزعاج :

ــ وخطاب ايضا ؟

اجل ، وخطاب ايضا . . . فقدكنت احملهما جميعا ، الصندوق والخطاب . غفر الله لى ! فقـداضعتهما معا . رودلف ! لقـد حصل روبرت على الخطاب ايضا

وبدات اشعر بقوتى تخوننى ، وتخافت صوتى ، فخطا راسندل نحوى وهز يدى ، فغالبت ضعفى حتى سيطرت على نفسى ورفعت نظرى اليه ، فرايته وقد امسك بيده ذقنه النـاعم . فداخلنى احساس بانه لم يفارقنا قط ، واننا كنـا لا نزال فى استرلساو ندبر الخطة للايقاع بالدوق ميكل واعادة الملك الى تسلم عرشه . . ذلك ان راسندل لم يكن قد تغيرمن اى وجه منذ الوقت الذى كان فيه ملكا فى استرلساو .

ودق راسندل الجرس ، فظهر رجل قصير القامة بادى القوة فى اوسط العمر . . فكان جليا انه خادم انجليزى . فقال له رودلف :

ــ ياجيمس ، ان هذا السيد قد جرح راسه ، فاعن به .

فخرج جيمس ، ثم عاد بعد بضـع دقائق مزودا بماء دافىء ومناشف واربطـة للتضميد ، فغسل جرحى ثم ضمده بعناية فائقة ، ونزل رودلف الى الطابق الارضى ليدفع اجر العربة ، ثم عاد بعد دقيقة ، فسأل خادمه :

ــ هل انجزت التضـميد ياجيمس ؟

ــ نعم ياسيدى

ــ اعطنى اوراقا للبرق اذن

فخرج جيمس وعاد بعد لحظة واحدة بأوراق البرق ، فقـال له رودلف :

ــ كن على أهبة الاستعداد ريثما ادعوك

وتركنا جيمس وحدنا ، فسألنى رودلف :

ــ اتشعر بتحسن يافريتز ؟

فأجبته :

ـ أستطيع الآن أن أصغي اليك

فاستطرد :

ـ اني أرى ما يهدفون اليه ، فسيحاول أحدهما ، أما روبرت او ريشنهايم ، ان يصل الى الملك بذلك الخطاب . فاندفعت واقفا على قدمي ، وصحت :

ـ هذا يجب الا يكون

وآذتني الحركة فارتميت في مقعدي شاعرا بألم عنيف يخترق راسي . وابتسم رودلف وضغط على يدي وقال :

ـ ليس في وسعك أن تقفهم بسهولة . فهم لن يأمنوا البريد عليه كما نعلم ، فسيذهب احدهما اذن . فمن عساه يكون ؟

ووقف في مواجهتي يفكر تفكيرا عميقا .

ولم اكن ادري ، بيد اني رجحت ان يكون ريشنهايم هو الذي سيذهب بالخطاب ، فانها لمجازفة خطيرة ان يزج روبرت بنفسه في روريتانيا ، وهو يعلم انه سوف يكون من العسير جدا اقناع الملك بمقابلته . يقابل هذا أن مكانة ريشنهايم تسمح له بمقابلة الملك ، ولا سيما ان الشك لن يتطرق من جهته الى مستشاري الملك .

فلما افضيت الى رودلف بما جال في خاطري قال :

ـ اني أقرك على هذا ، بيد ان روبرت ليس بالذي يسمح بخروج الخطاب من يديه .. فما سيحمله ريشنهايم هو صورة منه ليس غير .

وحاولت مرة اخرى ان ارفض ، لانني كنت كمن يجلس على الجمر شوقا الى تلافي النتائج الخطرة الناجمة عن غباوتي ، فدفعني رودلف ليردني الى المقعد بلطف وقال :

ـ كلا كلا .. ان ريشنهايم سيكون في طريقه هذه الليلة . اعتقد انك رتبت مع « سابت » شفرة خاصة . اليس كذلك ؟

فاجبته :

ــ اجل ، فاذا انت كتبت رسالة وضعتها فى قالب هذه الشفرة.
فتناول رودلف ورقة برق وكتب فيها :
« الورقة فقدت ، لاتدع احدا يراه ان امكن ، اخبرنى بالطالب »
فلما قرا لى هذه الرسالة علق عليها بقوله :
ــ لا اميل الى جعلها اوضح من هذا ، فمعظم الشفرات يمكن حل رموزها كما تعلم .
فوضعت هذه الكلمات فى الصورة الشفرية، ودق رودلف الجرس لجيمس فظهر فى الغرفة على الفور، فقال له رودلف :
ــ ارسل هذه ياجيمس .
ــ لقد اغلق المكتب ياسيدى.
ــ جيمس جيمس !
ــ حسن جدا يا سيدى ، ولكن قد يستغرق فتح مكتب من مكاتب البرق مدة ساعة .
ــ سأعطيك نصف ساعة . هل معك نقود ؟
ــ اجل ياسيدى
ومضى جيمس على الفور ، فارقدنى رودلف فى السرير لاننى كنت قد شعرت بخور قوتى مرة اخرى .
ولست اذكر على الاطلاق شيئا عن بقية تلك الليلة سوى اننى تنبهت مرة أو مرتين فرايته يتمشى جيئة وذهوبا فى الغرفة .
وفى الثامنة من صباح اليوم التالى ايقظنى جيمس ، وقال لى ان طبيبا سيكون حاضرا بعد نصف ساعة ، ولكن مستر راسندل يحب ان يتحدث الى فى الحال اذا كنت اشعر ان حالتى تسمح بذلك . وكان على ان اشعر بان حالتى تسمح بذلك ، فقلت لجيمس أن يدخل رودلف على
وكان رودلف يبدو هادئا منتعشا وعلى تمام الاهبة لاى

شىء ، فقد كان الخطر يحدث لديه دائما ذلك التأثير ، ولكن الآن كان نور جديد يسطع فى عينيه .. نور ينبىء عن الغبطة والسرور . وقال لى :

ــ فريتز ، ياصديقى القديم، لقد جاء رد البرقية فماذا تظنه ؟ لقد طلب ويشنهايم قبل مغادرته استرلساو مقابلة الملك .

فجلست فى سريرى من شدة الدهشة . واستطرد هو :

ــ هل فهمت ؟ لقد غادرها فى يوم الاثنين . واليوم الاربعاء . وقد وافق الملك على مقابلتــه فى الساعة الرابعة من يوم الجمعة. اذن . .

فقاطعته صائحا :

لقد كان اذن واثقا من النجاح، وسيكون مع ريشنهايم الخطاب او نسخة منه .

ــ نعم . فقــد كانت الخطة محكمة . وقد اعجبتنــى مكيدة سحب جميع العربات من المحطة فروبرت حاذق ولا شك .

فسألته فى يأس :

ــ وما العمل ؟

ــ سابرق الى ســـابت كى يؤجــل مقابلة ريشنهايم الملك اثنتى عشرة ســاعة ان امكن . واذا لم يستطع فعليــه ان ينأى بالملك عن زندا باى شكل .

فاعترضت على ذلك قائلا :

ــ ان هذا لن يمنع ريشنهايم من مقابلة الملك ان عاجلا أو آجلا.

فصاح واستدل :

ــ عاجلا أو آجــلا ؟ ان بين هذين فرقا شاسعا ! ضع رسالتى فى القالب الشفرى يافريتز ، فلن يكون فى وسعك ان تتحرك قبل يوم او يومين . وقل لسابت ان يحيطك علمـــا بكل مايحدث .

ومتى صـــار فى امكانك السفر توجه الى استرلساو ، فسنحتاج الى معونتك فيها .

فسألتــــه وانا احدق فيه متعجبا :

ـ وماذا انت مزمع ان تصنع ؟

فلم يجبنى الا بعـــد برهة ، ورايت ان جميع انواع الافـكار كانت تجول براســه ، ذلك انها كانت ترتسم على وجهه . واخيرا قال لى :

ـ انى ذاهب الى زندا .

فصحت فى دهشة :

ـ الى زندا ؟

ـ نعم يافريتز ، ياصـــديقى القـديم ، الى زندا . لقد كنت اعلم ان هذا اليوم سياتى ، وهاهو ذا قد اتى !

ـ ولكن ماذا تصنع هناك ؟

ـ ساقبض على ريشنهايم اذا استطعت . واذا ســـبقنى الى هناك ، فسيحتفظ به سابت الى ان آتى ، حتى اذا اتيت . .

وانفجر ضاحكا ضحكته المرحة وصاح :

ـ ماذا ؟ هل فقدت شبهى ؟ الم يعــد فى استطاعتى ان امثل دور الملك ؟ بلى ياصاحبى ، اذا انا اتيت فى الوقت المنــاسب ، فسيحظى ريشنهايم بمقابلة الملك كما طلب ، وسيكون الملك متلطفا معه جدا وسيأخذ منه نسخـة الخطاب !

وانطلق يضحك ثانية .

ولم استطع ان اقول شيئا ، فاســـتلقيت على الســرير ، واستطرد هو :

ـ هانتذا ترى انه ينبغى ان يكون اثنان منا هنـــاك فى زندا فاذا اخفق ريشنهايم فسيجازف روبرت نفســه باى شىء . فاذا

اتيحت له خمس دقائق مع الملك وقيع البلاء . لهذا يجب ان يتفرغ سابت لروبرت ، واهتم :تا بر يشنهايم .

فقلت بصوت ضعيف :

ـ ولكن اذا شوهدت ؟

فأجاب فى هدوء ممتزج بالجد :

ـ لخير ان اشاهد انا ، من ان يشاهد خطاب الملكة ؟ فانه اذا وصل الخطاب الى الملك ، كنت انا ، وانا وحدى ، الذى استطيع القيام بما ينبغى القيام به .

ولم أدرك ماعناه بهذا الكلام ،ولكنى موقن من انه لم يعن سوءا بالملك ، فلعله كان يرمى الى الفرار بالملكة . ولكنى لم أجب ، لاننى خادم الملكة الامين قبل كل اعتبار فقال :

ـ على رسلك يافريتز ، لاتضطرب هكذا . فليست هذه المسألة بالغة فى خطرها نصف المسألة الاولى التى اتممناها فى سلامة وامان . اليس كذلك ؟

فقلت اخيرا :

ـ وهو كذلك يارودلف ، انى موافق .

فاختفت من وجهه جميع علائم القلق عند ماسمع كلماتى وقال :

ـ سأترك جيمس هنا معك . وفى وسعك ان تعتمد عليه فى كل شىء ، وسآتى لاودعك قبل ان ارحل .

ورقدت فى الفراش وحيدا هناك ، غير مستطيع ان افكر فى شىء اللهم الا الاخطار والمجازفات التى تكتنف هذه الخطة . فلو اننى كنت فى صحة عادية ، لكنت حريا ان اكون اكثر حظا من الامل ولكنى ككل رجل مريض لم استطع ان ارى سوى الجانب المظلم من الامور .

ولم تتكشف لنا الابعد مدة طويلة التفصيلات الكاملة من خطة روبرت ، وذلك عن طريق ريشنهايم ، فقد كان بوير آلة له ، أما العربات فقد دفع روبرت الى جماعة الشبان بضعة شلنات لكل منهم كى يركبوها على سبيل التهريج .

وعلى افتراض اخفاق تلك الخطة ونجاتي من الشرك الذى نصبوه لى ، فان روبرت كان قد رتب خطة لاختلاس الصندوق من راسندل بعد ان اكون قد اعطيته اياه ، وهى خطة تحتاج الى عقل حاذق وكثير من المال ، فكان روبرت هو العقل الحاذق وريشنهايم هو المال الوفير .

وقطع تيار افكارى وصول الطبيب . فادهشنى انه لم يلق على اسئلة ، فلما انصرف عاد رودلف فوضح لى الامر .. لقد قال وهو يبتسم :

ـ لقد قلت له انك اشتبكت فى عراك من اجل سيدة . ولما كنت قد دفعت له اجره بسخاء ، فقد رضى الا يقول شيئا ، ولا اظن زوجتك ستسمع بالموضوع .

فسألته :

ـ هل حاولت ان تقبض على اعوان روبرت ؟

ـ ماذا ؟ والخطاب لايزال معروبرت ؟ لابد انك مريض جدا يافريتز !

فضحكت حينئذ وغفرت لرودلف القصة التى رواها الطبيب .

ـ وداعا يافريتز ، انى ذاهب .

فقلت له :

ـ ساحضر متى استطعت الوقوف ، وكيف ستعثر على سابت ؟

فاجابنى :

ـ سأذهب راســا الى حدودروريتانيا ، ومن هناك الى زندا مخترقا الغابة . ثم بعد ذلك ، لا بد ان تلعب المصادفةدورها .

وشــد على يدى بحرارة ثمغادرنى ، الى زندا مرة اخرى .

خندق الحصن

كان الوقت مساء الخميس السادس عشر من شهر اكتوبر والكولونيل سابت فى هذه الليلة لا يحس الرضا عن الحياة ! فالمخاطرة بامن الدولة وسلامتها فى سبيل خطاب غرام كانت فى نظره هى الحماقة اكبر الحماقة . اما الآن وقد جاءته برقية غامضة من ونتنبرج ، فقد احس بالخطر او النذير وقد قرب وقوعه . وكل ما امرته به البرقية هو العمل على منع ريشنهايم من مقابلة الملك والا فليبعد الملك الى خارج زندا . فآمر من كان هذا الامر ؟ انه ليس يدرى . ولماذا ارسلت مثل هذه البرقية ؟ انه ليس يدرى ايضا . فكل ما استطاع ان يحدسه ان شيئا ما وقع على غير ما يرام فى ونتنبرج

ولم يكن هينا ان ينفذ ماطلب فى البرقية . فهو لا يدرى اين كان ريشنهايم فى ذلك الوقت ، ولهذا لم يكن فى وسعه ان يمنعه من الحضور الى زندا نفسها . يضاف الى هذا ان الملك كان مسرورا غاية السرور اذ علم ان ريشنهايم قادم لمقابلته ، ذلك ان جلالته كان تواقا الى المناقشة معه فى امر فصيلة معينة من الكلاب كان ريشنهايم يعلم عنها اكثر مما يعلم الملك نفسه .

وقد قال سابت للملك انه ينبغى لهما الخروج للصيد فى الغابة اذا كان اليوم التالى ، فقد وردت التقارير بوجود خنزير برى فاخر هناك . فقال الملك :

ــ لست راغبا فى الصيد غدا . فان هذا سيعوقنى عن العودة فى موعد مقابلة ريشنهايم .

فراجعه سابت قائلا :

ــ ان جلالتكم ستعودون قبل حلول الظلام

ــ ولكننى ساكون متعبا فلا استطيع الحديث معه على الوجه الذى أحب

فعاد سابت يقول :

ــ فى وسعكم ان تبيتوا فى بيت الصيد وان تقابلوا الكونت ريشنهايم فى صباح اليوم التالى

فاصر الملك قائلا :

ــ انى تواق الى مقابلته باسرع ما يمكن .

ثم نظر جلالته الى سابت فى شىء من الريبة وقال :

ــ ثم لماذا يجب ان لا اراه ؟

ــ انه لمن المؤسف ان يفوتك ذلك الخنزير يا مولاى

فصاح الملك :

ــ لعنة الله على الخنزير ! انى اريد ان اعرف كيف يحصل ريشنهايم على مثل هذه الكلاب الممتازة

وفى هذه اللحظة بالذات دخل خادم ببرقية لسابت ، فوضعها الكولونيل فى جيبه بعدم اكتراث . فقال الملك :

ــ اقراها .

وكان الملك يتاهب للذهاب الى فراشه وقد ناهزت الساعة العاشرة مساء . فقال سابت :

ــ فيما بعد يا سيدى لا وجه للاستعجال .

فقد كان سابت يخشى ان تكون البرقية من ونتنبرج . فاعاد عليه الملك الامر غاضبا :

ــ اقراها ! فقد تكون من ريشنهايم ، ولعله يستطيع ان يصل الى هنا قبل الساعة الرابعة .

ففض سابت البرقية على مضض ، ثم وضع منظاره على عينيه لكى يضيع من الوقت اكبر قدر مستطاع ، لعله يوفق الى الاهتداء الى ماعساه ان يقول اذا كانت البرقية واردة من فريتز . فراح الملك يستحثه :

ـ عجل يا رجل عجل !

وفتح سابت المظروف اخيرا، وبدت على وجهه علائم الارتياح والدهشة معا ، ثم قال :

ـ لقد اصبتم جلالتكم كبد الحقيقة اصابة تثير الاعجاب ! انها من الكونت ريشنهايم وفى استطاعته ان يكون هنا فى الساعة الثامنة من صباح غد .

فصاح الملك :

ـ عظيم ! سيتناول طعام الافطار معى فى الساعة التاسعة ، ثم اركب سعيا وراء ذلك الخنزير متى انتهى حديثنا .

فقال سابت وهو يعض شاربه :

ـ عظيم جدا يا مولاى !

وحينئذ اقرأ الملك سابت تحية المساء ثم خلفه ليخلو الى افكاره الخاصة ، ولكن الكولونيل لم يكن رجلا يتقبل الهزيمة بهذه السهولة . وقد طلبت اليه برقية وتتنبرج ان يؤجل المقابلة، فاذا بالمقابلة تتقدم ولا تتأخرْ ! وقد قيل له ان يبعد الملك الى خارج زندا ، فاذا بالملك لايبرحها حتى يقابل ريشنهايم .

ولئن حاول سابت الامر بالحيلة فأخفق ، فانه ليراود نفسه مراودة جدية ان يعمد الى استخدام القوة . بيد انه لا يستطيع قتل ريشنهايم ،وليست تحت امرته عصبة من الاشرار حتى يتسنى له القبض عليه بوساطتهم .

ومشى الكولونيل الى النافذة لعل الهواء الرطب المتجدد يوحى اليه بخاطر جديد وهو يقول فى نفسه :

ـ لست مستطيعا ان اهتدى الى مخرج .

وكانت الحجرة التى هو بها الآن هى الحجرة عينها التى كان يحتلها ميكل الاسود فى الزمان الخالى ، ونوافذها تواجه الحصن

القديم من وراء الخنـدق . فوقف سابت فى النافذة ينظر الى الماء القاتم من تحته . وعلى حين غرة تنبهت حواسه ، فقد كان فى الخندق شيء ما ، شيء يتحرك ، فان امواجا صـغيرة كانت ترى على سطحه ، من قبيـل تلك الامواج التى تضطرب فى الماء اذا القى فيه بحجر . . .

ثم سمع صوتا ، وفى اللحظة التالية راى راسا يبرز من المـاء بقرب موضعه تماما . .

وهمس الراس :

ــ سابت !

فانحنى سابت مطلا حتى اقد اوشك ان يسقط فى الماء . فعاد الصوت يقول هامسا :

ــ اسرع ياسابت ! تعال الى الحصن القـديم ، الست تذكر المكان ؟

وفى اللحظة التالية كان الرجل يسبح فى سـكون ليصل الى الضفة الاخرى ثانية .

وظل سابت بلا حراك لحظة او لحظتين من فرط الدهشة . فقد كان يعلم ان الملك فى فراشه الآن . ومن تراه يتكلم بهـذا الصوت ما خـلا الملك . . . و شخصا آخر سواه ؟

واسرع سابت خارجا من حجـرته ، فاذا به يصـطدم بالشاب برننشتاين الضابط فى الحرس . وكان شخصا اهـلا للثقة به ، فقد سبق له ان قاتل معنا ضد ميكل فجرح . ولاحظ سحنة سابت ، فسأله

ــ هل وقع محظور يا سيدى ؟

فاجابه سابت :

ــ برننشتاين يا ولدى ! ليس هنا من محظـور قـد وقع .

فاذهب الى الطـرف الآخر من الحصن .. وامكث هناك

وبدت الدهشة على الضابط الشاب ، وحق لها أن تبدو ! بيد انه قال :

ـ سمعا يا سيدى وطاعة

وشرع يتجـه حيث امره فأمسك سابت بذراعه وقال :

ـ كلا ، بل ابق هنا . اسمع . قف عند هـذا الباب المفضى الى الجنـاح الملكى . قف هناك ولا تدع احـدا يمر منه على الاطلاق . هل فهمت ؟

ـ نعم يا سيدى

ـ ومهما سمعت فلا تلتفت وراءك .

فزادت دهشة برنتشتاين ، ولكن سابت كان رئيسه وقائده وهو ينتظر منه الطاعة فورا ، فان سابت كان مسئولا عن سلامة الحصن وجميع من فيه . فقال الشاب :

ـ وهو كذلك يا سيدى .

واسرع سابت يجرى ففتح الباب المفضى الى القنطرة الموجودة عبر الخندق ، فعبرها عدوا .. وفى ظـلال سور الحصن القديم وجد امامه رودلف راسـندل يقطر منه الماء .

وهمس سـابت وهـو يهـز يده :

ـ أهذا انت ؟

فأجابه رودلف :

ـ اجل اسندنى لحظة حتى البس سراويلى . فقـد خلعتها حتى لا تبتل .

فسأله سابت وهو يقبض على ذراعه :

ـ وماذا جاء بك الى هنـا بحق الله ؟

ـ خدمة الملكة ؟ متى سيأتى ريشنهايم ؟

ـ غدا فى الثامنة

ـ يا له من شيطان ! لقد بكر اكثر مما ظننت . والملك ؟

ـ انه هنا ، وهو مصمم على مقـــابلته ، واثنـــاؤه عن ذلك مستحيل .

وساد الصمت لحظـة لبس فيهـا رودلف سراويله ثم قال اخيرا :

ـ لقد اضعت قبعتى

فقال له سابت وهو يضحك ضحكة خافتة :

ـ ويظهر انك اضعت راسك معها ايضا

ـ وستجدهما لى جميعا ، أليس كذلك يا سابت ؟

فزمجر سابت قائلا :

ـ خبرنى بحق ابليس : ماذا اتيت تصنع هنا ؟

ـ سأخبرك بذلك اذا اخـذتنى الى مـكان نستطيع الكلام فيـه

ـ اى غرفة ذات مزلاج تفى بهذا الفرض ، فان لى القيـادة هنا ، وحينما اقول لا تدخل ، لا يجرؤ احد على الدخول

ـ حتى ولا الملك ؟

ـ الملك فى فراشه . تعال اذن .

وعبرا القنطرة معا فسرعان ما اصـبحا فى الممر المفضى الى غرفة سابت . ورأيا ظهـر برنتشـتاين المريض عنـد باب الجناح الملكى . وهمس سابت ويده على باب حجرته :

ـ ادخل هنا .

وسمع برنتشتاين هذه العبارة ولكنه لم يلتفت وراءه كمـا امر . فالطاعة للنظام العسكرى دقيقة جدا فى حصن زندا .

ولكن بينما كان سابت يخطو خلال فتحة الباب ، وراسـندل

خلفه مباشرة ، اذاالباب الآخر ـ وهو ذلك الباب الذى وقف لحراسته الضابط برننشتاين ـ يفتح فى هدوء وبسرعة من الجهة الاخرى، فشهر برننشتاين سيفه ولكنه لم يلبث ان نكسه فورا ، فزمجر سابت وشهق راسندل شهقة مفاجئة : فقد برزت فى فرجة ذلك الباب الملكة فليفيا ، فى ازار أبيض ناصع البياض ، واذا بوجهها يصبح فى مثل بياض ثوبها فقد وقعت عيناها على رودلف راسندل .

ووقف اربعتهم على هذا النحو لحظة جامدين ، ثم اذا برودلف راسندل يخطو فى الدهليزخطوتين، ويدفع برننشتاين جانبا من طريقه (وكان الشاب لم يلتفت وراءه حسب الامر) ثم جثا على ركبتيه أمام الملكة ، وتناول يدها فقبلها ...

واستطاع برننشتاين حينئذ ان يرى ما لم يكن راى ، فتهاوى على الجدار وفغر فاه دهشة ! ذلك ان الملك كان فى فراشه ، وهو ذو لحية ، ومع هذا فهذا هو الملك ماثل أمامه . عليه ملابس الخروج حليق اللحية ، يقبل يد الملكة !

ومهما يكن من دهشة الاربعة مما وقع ، فلم يكن هناك اى داع لاستغراب زيارة الملكة لسابت فى تلك الليلة . فقد سألته ثلاث مرات قبل ذلك عما اذا كانت لديه انباء من ونتنبرج ، فكان يتخلص من سؤالها ويمهلها متذرعا بمختلف الاعذار ، فتبادر الى ذهنها الاسترابة بوقوع مكروه ، ولهذا خرجت خلسة على هذه الصورة لتعرف هل لدى سابت اخبار فعلا ام لا .

ولئن كان المحبون لا يشعرون بالزمن ولا بالخطر فان سابت كان يحسب حساب كليهما ، فلم تنقض الابرهة حتى استحث الملكة على دخول حجرته فورا ، ففعلت وتبعها راسندل .

وهمس سابت الى برننشتاين :

ـ لا تدع احـدا يدخل ، ولا تفه بكلمة لاى انسان .

وترك الكولونيل الشاب قائما على الحراسة وسيفه مجرد فى يمينه .

وكان الليل قد انتصف حينما دعا سابت برننشتاين الى دخول الحجرة ، وسلخ عشر دقائق فى اخبار الضابط الشاب بطرف من قصة رودلف راسندل ومغامراته فى روريتانيا قبـل ذلك ، فكانت دهشة برننشتاين لهذا الذى سمع تفوق كل حد ! ذلك ان الشاب كان قد قاتل فى تلك الايام فى سبيل رودلف دون ان يخطر له ادنى ريب فى انه ليس الملك بعينه . فلما فرغ سابت من كشف السر القديم للضابط الشاب سأله :

ـ هل فهمت الآن ؟

فأجاب برننشتاين وهو ينظر الى الملكة والى رودلف :

ـ اجل . وان هذا لعجيب !

فقال سابت :

ـ مه ! لا وجه للعجب ، فما من شىء عجيب ، وان كان من الامور ما يخرج عن المألوف

ـ انى مستعد ان اموت فى سبيل الملكة يا سيدى .

فقالت فليغيا فى رقة :

ـ شكرا لك يا برننشتاين

فاستطرد سابت :

ـ والآن اصغ الى . هذه هى الاوامر . . .

ثم بدأ سابت يفصل له تلك الاوامر ، فلما انتهى قال :

ـ فلاتنس انه يجب عليك ان تقابل الكونت لتزاو ريشنهايم عند البوابة ، فتحضره الى هنا مباشرة ، ويجب الا يعرج على اى مكان آخر . افاهم انت ؟

فابتسم برننشتاين الشاب و اجاب :

ـ تمام الفهم يا حضرة الكولونيل .

ـ وسيكون الملك فى هـذه الحجرة . . الملك ، اتعرف من هو الملك ؟

ـ تمام المعرفة يا سيدى الكولونيل .

ـ وحين تنتهى المقابلة ونقوم للافطار . . .

ـ اعرف من سيكون الملك حينئذ يا سيدى الكولونيل

ـ عظيم . ولكننا لا نمس الكونت بسوء الا اذا . . .

ـ الا اذا كان ذلك ضروريا .

ـ بالضبط !

وادار سابت وجهه وجعل يمسحه بمنديله ، فمع ان برننشتاين كان تلميذا سريع الفهم ، الا ان سابت اسهب فى الشرح مع انه لم يتعود على مثل ذلك .

وتقدم رودلف فقال :

ـ من الخير ان تاوى الى فراشك الآن يا برننشتاين ، اذا سمح الكولونيل .

ـ ليس بى ميل للنعاس يا مو . . . يا سيدى !

ـ الموعد الثامنة صباحا ، اذا لم تتم حتى الآن .

واتجه برننشتاين نحو الملكة فجثا امامها وقبل يدها ، ثم قال فى صوت يضطرب من فرط التأثر :

ـ حتى الموت ياصاحبة الجلالة

فقالت الملكة :

ـ كنت واثقة من هـذا ياسيدى .

ثم التفتت الينا جميعا وقالت :

ـ ايها السادة ان شرفى وحياتى معلقان بكم وبفريتز الذى

يرقد جريحا فى ونتنبرج ، فاني لن اعيش اذا قــدر الخطاب ان يصل الى يد الملك .

فقال سابت :

ــ لن يحصل الملك عليه يا سيدتى .

فمشت الى الباب ثم ابتسمت من خلال دموعها وقالت :

ــ ليبارككم الله جميعا !

ثم مضت . وقام سابت ليعد ما يلزم لافطار الملك فى الســاعة التاسعة صباحا ، ثم عاد فارسل برننشتاين الى فراشه وجلس هو فى كرسى بالدهليز ومسدسه فى يده ، حتى اذا ســأل سائل كان الجواب ان برننشتاين قــد اصابته وعكة فحل سابت محله. وعلى هذا النحو مرت اللحظات الى ان ازفت الساعة السادسة فى حصن زندا .

فلما دقت الساعة فتح سابت الباب فوجد راسندل ينظر من النافذة ، فسأله :

ــ هل نمت نوما طيبا ؟

فقال رودلف :

ــ لم يغمض لى جفن !

فضحك سابت وهو يجيل نظره فى الحجرة وقال :

ــ حسبتك اعقل من هذا .

وكان رودلف قد احدث فى الحجرة جملة تغييرات : فقــد أزيحت الستائر عن النوافذ الى النصف ، وقرب المــائدة من الحائط ، بحيث صار المقعد ذو الذراعين بجانبها واقفا فى الظل ، وراء الســتائر مباشرة . وقال رودلف معلقا على ذلك :

ــ هناك مكان كاف لك فى الخلف ، فاذا جلس ريشنهايم فى مقعده قبالتى صار فى وسعك ان تضع مسدسك امام راسه بمجرد ان

تمد يدك ، والامر نفســه فى وسعى انا طبعا . .

فقال سابت موافقا :

ــ اجل ، يبدو هذا الترتيب ملائما .

ــ وماذا عن اللحية ؟

ــ سيتولى برنشتاين اخباره بانك حلقتها هــذا الصباح . وسأذهب لاتأكد من ذلك .

ــ سابت ، ماذا لو كان علينا ان نقتل ريشنهايم ؟

ــ سيتحتم علينا أن نفر ، فان الملك لن يغفر لى هذا ، واتجه سابت نحو الباب وزمجر قائلا :

ــ ومتى انتهينا من هــذا ا لمخلوق كان علينا ان نبحث عن روبرت .

فقال رودلف :

ــ روبرت ؟ روبرت ؟

ذلك انه كان يفكر فى شىء آخر . وكان سابت يعلم تمــام العلم ما هو ذلك الشىء ، فقد كا ن الازدراء باديا فى نظرته . . .

فقال له سابت :

ــ استعد ، فسياتى ريشنهايم بعد قليل . . .

فأجابه راسندل :

ــ انى مستعد . . .

وقد اخذت عيناه تبرقان ببريق الاقــدام على ذكر المعمعة ، وقال :

ــ هل عادت الايام السالفة يإسابت ؟

ــ اجل يا مولاى ! كسائر ايا م الملك رودلف الكريم . . .

مقابلة ملكية

منذ اللحظة التي عاد فيهـــا مستر راسندل الى زندا وكان قدرا عجيبا قد هيمن علينا جميعا ، فهو يسوقنا راغمين ويدفعنا الى أعمال لم تكن لنفكر فيها أو نميل الى القيام بها ، فكل ماكنا نريده هو خدمة الملكة وخدمة من تحبه، بيد ان ماوقع من الامور لم يكن الجانب الاسوأ منه من فعـــل أيدينا ، بل من صنع يد روبرت، جناه في غير اكتراث بين اللعنة والدعابة ،ولكنه أوقعنا في حبالة القدر شر وقوع ، واني أذكر هذا لكى أدفع عنا لعنة اللاعنين في المستقبل ، ولكى أدافع قبل كل شيء عن اسم ملكتنا النبيلة واسم أنبل سيد عاش في الوجـــود . رودلف راسندل .

وقبل الثامنة بعشر دقائق كان الشـاب برننشتاين خارج ابواب الحصن . ولم يطل انتظاره ، فان الساعة ماكادت تدق الثامنة حتى أقبـــــل ريشنهايم وحده ممتطيا صهوة جواده فصـــاح الضابط الشـــاب بعد أن نادى شـــخصا يمسك عنان الجواد :

ـ عزيزى الكونت لقد أحسنت بالحضور في الموعد تماما .

ـ ولماذا؟! الملك طبعا لم يستيقظ بعد ؟

ـ بل استيقظ منذ ساعتين. وقد كلفنا من أمرنا رهقـــا في خلالهما ،ذلك انه ينتظرك بصبر نافد . فيجب أن تتحفظ وتتلطف معه ياكونت ، فان مزاجه في غاية الشذوذ هذا اليوم ، فهو مثلا ... ولكن من الخير ألا أقول لك شيئا .

وكانا في هذه اللحظة قــــد اتجها نحو الباب الرئيسى ،فقال ريشنهايم :

ـ بل خبرنى ، والا فقد أقول شيئا غير لائق .

ـ ليكن ، انه صحا في الساعة السادســـــة ، فلما جاء خادمه ليلبســـه ثيابه ، وجد في لحيته سبع شعرات بيضاء لاأقل ! فجن جنون الملك وصاح «ازيلوها! ازيلوها ! » ففعلوا !

ـ لحيته ! أزالوا لحيته !

ـ نعم ، على كل حال أعتقد ان لاى امرىء ان يحلق لحيته متى شاء .

ثم عقد ذراعه بذراع ريشنهايم وأسرع بالكونت الى الحصن .

وكان ريشنهايم شاحب الوجه بادى التردد ويداه ترتعشان ولم يكن الرجل جبانا ، ولكنه لم يكن متعودا هـذا النوع من المسائل ، ولم يلاحظ أين كان يقوده برننشتاين ، ففى دقيقة أو دقيقتين كان خارج الغرفة التى كان راسندل ينتظر فى داخلها . فقال برننشتاين عند الباب :

ـ ان الافطار فى التاسعة .ولكنه يريد أن يراك فورا .ألعل فى جعبتك شيئا هاما ستفضى به اليه ؟

ـ كلا ، انما هى مسألة خاصة لا أهمية لها .

ـ سأنتظر هنا فى الدهليز ، وأرجوك من أجل خاطرنا جميعا أن تحاول شرح صدره .

وطرق برننشتاين الباب ثم فتحه ونادى قائلا :

ـ الكونت لتزاو ريشنهايم !

ودخل ريشنهايم فى خطى غير ثابتة ، وكان الملك جالسا فى الظل قرب النافذة فقال للكونت :

ـ انى سعيد برؤياك ياعزيزى الكونت ، تفضل بالجلوس

فنظر اليه ريشنهايم فجأة ، ذلك ان الصوت كان أقوى وأدل على الصحة مما كان قد سمعه من قبل ، وحدثت وراء الستائر حركة خفيفة ، بيد انها توقفت بمجرد جلوس ريشنهايم ، ولاحظ رودلف الدهشة الخفيفة التى بدت على وجه ريشنهايم فكان صوته أكثر انخفاضا حين تكلم فقال :

ـ انى سعيد ، فقد لقيت كثيرا من العناء مع هذه الكلاب ،

فاريدك الآن ان تقول لى كل شىء عن كلابك ، وكيف اتفق لك أن تجعلها بهذه الحالة الرائعة .

ـ هذا كرم عظيم من مولاى . ولكنى طلبت مقابلتكم لكى ..

ـ خبرنى أولا عما سألتك من أمر هذه الكلاب ، قبل أن يحضر الكولونيل سابت ، لاننى لاأريد أن يسمع ذلك أحد سواى .

ـ وهل جلالتكم تنتظرون قدوم الكولونيل سابت ؟

فقال الملك وهو ينظر الى الساعة على الحائط :

ـ أنتظره فى بحر ثلث ساعة .

فاضحى ريشنهايم على أحر من الجمر كى يؤدى رسالته قبل مجىء سابت ، وبدأ الملك كلامه فقال :

ـ هذا الملمس الحريرى الذى تتمتع به كلابك ..

ـ عفوك ألف مرة يامولاى ! ولكنى ..

ـ انها من النعومة بحيث ينسب من ..

فكانما حم ريشنهايم لشدة ماعاناه من اللهفة ونفاد الصبر ، فقاطع الملك مرة أخرى قائلا :

ـ لدى أمر فى غاية العجلة والاهمية

فاضطجع رودلف فى مقعده كالمتضايق وقال :

ـ ليكن ، لابد مما ليس منه بد ، فماهى هذه المسألة الهائلة ! ياكونت ؟ لننته منها حتى يتسنى لك أن تحدثنى عن الكلاب .

فدار ريشنهايم بنظره فى أنحاء الغرفة ، فوجدها خالية لانه لم يجل بخاطره أن سابت وراء الستائر . ثم قال :

ـ مولاى ان قريبى روبرت هنتزو ..

ـ لقد قلت قبل الآن اننى لاأريد أن أسمع شيئا عنه

ـ عفوك يامولاى . فقد وقعت فى يد قريبى ورقة على أعظم جانب من الاهمية لجلالتكم .

وأتقن رودلف دوره فأظهر الريبة وعدم التصديق ،فاستطرد الكونت :

ـ ان مايجرى فيه مساس بشرف جلالتكم ،

فأجابه رودلف بفتور :

ـ من هو ؟ اذكر اسم من تعنيه •

ـ لاأجسر يامولاى ، ولكنكم ستصدقون الدليل الكتابى •

ـ أرنى اياه ، وبسرعة ،فقد يقطع خلوتنا أحد

ـ انه صورة خطاب من الملكة •••

ـ من الملكة ؟ الى من ياسيدى؟

ـ الى المدعو مستر راسندل يامولاى !

وبلغ رودلف بتمثيله حد الكمال ، فقد اختلج صوته وهو يمد يده ويقول بصوت خفيض يقرب من الهمس !

ـ أعطنيها ، أعطنيها !

فلمعت عينا ريشنهايم ، فقد نجح وطوى موضوع الكلاب واستيقظت غيرة الملك،وتحسس جيوبه باحثا عن الخطاب ثم أخرجه ببطء ،

وانحنى رودلف الى الامام فان سيطرته على نفسه خانته فما هو الا بشر • فلما فعل ذلك برز وجهه من الظل وسقط عليه نور الصباح القوى ، فحدق ريشنهايم فى عينيه ولعب الشك فى سريرته فسحب الخطاب وامتدت احدى يديه الى المسدس الذى يحمله ، ولكنه فعل ذلك متأخرا لان رودلف قبض على يده بقبضة من حديد ، وكان مسدس رودلف مصوبا الى رأسه ! وفى اللحظة نفسها كان مسدس آخر مصوبا الى عينيه من يد سابت الذى برز الى الامام ، وقال الكولونيل بجفاء :

ـ من الخير لك أن تسلم بهدوء •

ولم يحر ريشنهايم جواباعلىهذا التغير المفاجىء فى مجرى الحوادث ، وأخذ منه سابتمسدسه ، ثم قال لرودلف :

ــ خذ منه الورقة .

فاجبره راسندل على فتح يده وأخذ الخطاب ، وبعد أن تأكد انه الخطاب المطلوب دسهفى جيبه،ثم فتش سابتالكونت فلم يجد معه شيئا آخر ، وبداعلى الكونت انه غير ميسر لشىء سوى النظرالى راسندل ،فابتسمرودلف أخيرا وقال :

ــ أظنك رأيتنى قبل الآن،فانى أتذكر انك كنت غلاما فى استرلساو حينما كنت أناهناك،والآن ياسيدى نريد أن نعلمأين قريبك هذا فى الوقت الحاضر .

وكانت الخطة قائمة علىمعرفة مكان روبرت من الكونت ريشنهايم ، ثم القيامفورابالقبضعليه ، ولكن بينما كان رودلف ينطق بهذا السؤال طرقالباب ، فوثب اليهرودلفليفتحه وبقى سابت ومسدسه فىموضعهما الاول ، ودخل برننشتاين فاغر الفم فقال :

ــ لقد مر بى خادم الملكالآنتوا باحثا عن الكولوتيل سابت، فان الملك كان يتمشىفى الحديقةفسمع من جندى الحراسة القائم عند البوابة ان الكونتريشنهايمقد وصل ، فقلت للرجل انك أخذت الكونت معك فى نزهة ياسيدى على الاقدام ، فقال لى ان الملك قد يأتى فى أى لحظة.

ففكر سابت برهة ثم قاللريشنهايم :

ــ انك ستتناول طعامالافطار الآن مع الملك ، وساكون انا هناك وكذلك برننشتاين ، فتذكرجيدا انه لاينبغى أن تبدرمنك كلمة واحدة عنروبرت أوالخطابأو ... هذا السيد ! وانكلمة واحدة أو اشارة،أو حركة ،أوبادرة ، لتكفى واقسملك،لالهاب

رأسك بالرصاص من يدى ،ولن يحول بينى وبين هذا ألف ملك لا ملك واحد ، وأنت يارودلف ادخل خلف الستارة ، ووطن نفسك، اذا اقتضت الضرورة ،على القفز من النافذة الى الخندق لتهرب ما استطعت الى ذلك سبيلا

فأجاب راسندل :

ـ وهو كذلك ، وسيتسنى لى ان اقرأ خطابى هناك

ـ بل أحرقه فورا أيها الاحمق !

ـ انى مستعد بعد قراءته أن آكله اذا شئت ، أما قبل ذلك فلا .

ـ لاتنس دورك يابرننشتاين، والآن أيها السادة الى الملك

ثم سمع خارج الباب صوت غاضب يقول :

ـ آن الاوان ، فقد عجبت كم قدر لى أن أبقى منتظرا :

فقفز راسندل فتوارى خلف الستار ،وتسلل مسدس سابت الى جيبه ، وانحنى برننشتاين انحناء عميقا وهو يتمتم بالمعاذير، ثم دخل الملك شاحب الوجه كامل اللحية ، فقال :

ـ آه ، انى سعيد برؤياك ياكونت ريشنهايم ، ماأشد الظلمة هنا ياسابت فارفع الستائر يارجل !

واتجه الملك بنفسه نحوها ،بيد ان سابت قفز من مكانه وقال ويده على الستار :

ـ عفوك يامولاى ، دع هذا لى ، الواقع اننا كنا مستغرقين فى لذة ماكان يحدثنا به الكونت عن كلابه ..

فصاح الملك وقد تلاشت الابتسامة من وجه ريشنهايم :

ـ ياللسماء ! لقد نسيت !والآن ياكونت خبرنى ..

فقال برننشتاين :

ـ عفوك يامولاى، فان الفطور ينتظر جلالتكم .

ـ وهو كذلك ، ليكن وسنجمع بين الحسنيين : الفطور والكلاب ! هيا بنا ياكونت •

فلما خرجوا أقفل سابت الباب بالمفتاح وراءه ، فسأله الملك :

ـ لماذا تفعل هذا ؟

ـ ان في درجي يامولاي أوراقا هامة •

ـ ولماذا لاتقفل الدرج اذن ؟

فأجاب سابت ببديهة حاضرة:

ـ لقد أضعت المفتاح يامولاي بما عهد فى من غفلة

***

ولم يصب ريشنهايم من الطعام نصيبا يذكر ، فقد كان جالسا قبالة الملك ، ونصب الكولونيل سابت نفسه وراء كرسي الملك ، وكان ريشنهايم يرى فوهة مسدس الكولونيل من فوق ظهر الكرسي وراء اذن الملك اليمنى مباشرة ، أما برننشتاين فكان واقفا عند الباب ينظر الى ريشنهايم نظرات ذات مغزى ••

فلما رأى الملك قلة ماتناوله من الطعام قال له :

ـ كل شيئا ياكونت ،وحدثني عن الكلاب •

فشرع ريشنهايم يحدثه ، ولكن حديثه كان من الاضطراب بحيث ضاق صدر الملك ،فدفع كرسيه الى الوراء فجأة فاضطر سابت أن يقفز الى الخلف بعيدا عن طريق الملك وأخفى مسدسه وراء ظهره ، وحينئذ هتف ريشنهايم :

ـ مولاى • • •

ولكن برننشتاين سعل سعلة أوقفته عند هذا الحد ••

وقال الملك :

ـ لم افهم ماقلت •• أعده علي ثانية • •

فأطاع ريشنهايم وأعاد ماقاله عن الكلاب أول مرة ، فقال الملك:

ــ آه ! لقد فهمت الآن بعض الشيء .. أرأيت ياسابت ؟
واستدار الى الخلف لينظر الى سابت ، فأسعد الحظ سابت واستطاع اخفاء مسدسه في لمح البصر ، فانحنى الكونت الى الامام في لهفة، فسعل برننشتاين سعلة أخرى فغاص ريشنهايم في مقعده وعاد سيرته الاولى .
وأجاب سابت الملك في هدوء تام:
ــ تماما يا مولاى ، لقد وعيت كل ماأراد الكونت أن يقوله لجلالتكم .
فضحك الملك وقال :
ــ اما انا فلم أع مما قال غير النصف ، ولكنه حسبى فيما أظن .
فابتسم سابت وقال :
ــ انه كاف جــــدا ولاشك يامولاى .
ولما كانت مســألة الكلاب الخطيرة قد انتهت عند هـــذا فقد تذكر الملك ان ريشنهايم طلب مقابلته لسبب خاص فقال :
ــ والآن ماالامر الذى كنت تريد أن تحدثنى فيه ياكونت ؟
فنظر ريشنهايم نحو مسدس سابت ، وتنحنح برننشتاين بيد ان الكونت رأى الفرصــة سانحة له فقال :
ــ عفوك يامولاى ، ولــكنا لسنا وحدنا :
فبدت الدهشة على وجه الملك وقال غير مخف قلة اكترائه
ــ أهو موضوع مهم الى هذا الحد ؟
فقال الكونت متوسلا :
ــ انى أفضل أن أفضى بالمسألة الى جلالتكم على انفراد .
ولكن سابت كان مصمما على الا يمنحه هذه الفرصة ، فمال فوق كتف الملك وقال له هامسا:

ـ ان رسائل روبرت منتزو اعظم أهمية من ان تطرق مسامعى المتواضعة فيما يلوح يامولاى ٠

فبدا الغضب على وجه الملك وهو يقول لريشنهايم :

ـ وهل هذا من شـأنك ياكونت ؟

ـ مولاى ، ان ابن عمى ٠٠

فسأله الملك مقاطعا

ـ أهى الحكاية القديمه أم هناك شىء جديد ؟

فساد الصمت لحظة ، ورفع سابت يده من وراء ظهر الملك ليرى ريشنهايم المسدس جيدا ،وتنحنح برننشتاين مـــرتين ، فجلس الـكونت المسكين يعبث بأصابعه ، فقد أدرك انهما لن يتركاه يبـوح بالحقيقـة للملك مهما كان الثمن ، ففتح فمـــه ليتكلم ولـكنه ظـل سـاكتا ،فقال الملك فى ضجر :

ـ ماذا اذن ياسيدى ؟

ولـكن ريشنهايم لم ينطق ،فحدق فيه الملك وكرر سـؤاله، فأجاب أخيرا قائلا :

ـ انها ٠٠٠٠ انها ماتسـميه الحكاية القديمة يامولاى :

فنهض الملك وقال :

ـ مادام الامر كذلك ،فقرارى معروف لك جيدا ، وليس عندى من جديد فى هذا الموضوع ٠

وخطا نحو البـاب خطوة ثم أضاف قائلا :

ـ ياسابت ، عليك برعاية الكونت وراحته وتسليته ، أما أنت يابرننشتاين فتعال معى ، فلا بد ان جوادى أمام البوابة الآن ٠

فلما أقفل البـاب وراء الملك والضابط الشاب ، هم ريشنهايم أن يندفع نحو الباب وقد أفقده الغضب صوابه بيد ان سـابت

أمسك به وضغط فوهة مسدسه فوق رأسه ، فتخاذل الكونت، وقال سابت بعد دقيقة :

ـ لن تكون أقرب الى الموت مما كنت الآن ! فلو انك فتحت هـــذا الباب لكنت قد ألهبت رأســـك بالرصاص •

وطرق الباب ثم دخـــل خادم فقدم الى ريشنهايم برقية ،فأمره سابت قائلا :

ـ اقرأها !

فأطاع ريشنهايم ساخطا الاعنا فسأله سابت :

ـ ماذا بها ؟

فلما لم يجب ريشنهايم أخذ منه الـكولونيل الورقة وقرأها بصوت عال

ـ هولف ١٩ شارع الملك كينج شتراس)

فقال ريشنهايم :

ـ لست فاهما •

فأجابه الكولونيل ضاحكا :

ـ أما أنا ففاهم ، هذا عنوان بطبيعة الحال •

فبلل الـكونت شفتيه الجافتين بلسانه وقال :

ـ عنوان ؟ عنوان من ؟

فالتفت اليه سابت وهو يضع مسدسه فى جيبه وقال :

ـ العنوان الحـــالى لروبرت هنتزو ، ألف شكر ياكونت • أنت حقا انسان خدوم •

أنصار الملكة يعملون

بدا الطبيب الذي كان يعودني في ونتنبرج أن ابقائي في الفراش وانا متحرق الى مغادرته ، أمر لا يساعد على سرعة شفائي ، فسمح لي لهذا السبب ان اغادره بعد ان فارقني راسندل باثنتي عشرة ساعة او نحو ذلك . ففي يوم الجمعة نفسه الذي شهد صباحه مقابلة ريشنهايم المزدوجة للملك ، وصلت سالما الى بيتي في «استرلساو» ، ووصل معي جيمس ، فكلفته أن يبعث الى سابت برسالة في الحال ..

ووصلت الرسالة الى زندا في حين كان سابت وراسندل قائمين بتدبير الخطة التي يكفل انتهاجها الاستيلاء على الخطاب الاصلي الذي كان لا يزال تحت يد روبرت .

فالذي كان مع ريشنهايم هو صورته فحسب .

وكانا في الحجرة التي كان سابت قد أغلقها قبل ذلك على راسندل ، وكان ريشنهايم هناك ايضا ، فقد كان عليهما ان يحتفظا به اسيرا حتى ينتهيا من امر روبرت . وكانت الملكة في جناحها الخاص ، في انتظار ما ينتهي اليه تدبيرهما . . فقال سابت :

ــ اننا بحاجة الى راس ثالث ويدين . . لهذا سأبرق الى فريتز كي يحضر فورا . . . فيجب الآن ان نضع أيدينا على روبرت . .

فحرر رودلف رسالة واطلع سابت عليها ، ففتل سابت شاربه وزمجر قائلا :

ــ ما كان هذا لينطلي على . .

وكانت الرسالة على النحو التالي :

هولف ١٩ شارع الملك باسترلساو :

« كل شيء على ما يرام . معه ما كان معي ، ولكنه يريد أن

يرى ما معك . انا وهو سنكون في بيت الصيد الليلة في العاشرة . هاته وقابلنا . المسألة لم تفتضح ل . ر »

ـ انها لا تنطلى عليك ، ولكنها ستنطلى علىّ روبرت . ولم لا ؟ انه سيقدر ان الملك سيرغب في ان يراه بعيدا عن انظار الملكة وانظارك يا سابت . فاى مكان أنسب من هذا في اختيار الملك ، حيث يؤثر ان يذهب كلما تاق الى الاعتكاف . بل ان روبرت حرى ان يأتى حتى ولو استراب فى الامر . ثم لماذا عساه أن يستريب ؟

فقال سابت :

ـ ليكن : وماذا بعد ان يأتى ؟

ـ سيجد الملك الذى وجده ريشنهايم بعينه !

فاعترض برننشتاين قائلا :

ـ ولكنه سيعرفك .

فأجاب روبرت وهو يبتسم :

ـ اجل ، انه سيعرفنى ، ولكن سيكون قد استحال عليه الرجوع .

فوافقه سابت قائلا :

ـ هذا هو السبيل الوحيد . . وسيكون فريتز هنا ليقوم بشأن الملك .

فقال رودلف :

ـ وانت يابرننشتاين ، عليك أن تقوم بشأن ريشنهايم . وسيمنحك الكولونيل اجازة تعفيك من النوبة اربعا وعشرين ساعة . وستركب انت وصديقك الحميم الكونت ولكن حذار ان تدعه يغيب عن نظرك لحظة واحدة . فيجب الا تغفل عنه والا ترفع يدك عن زناد مسدسك .

فقال برننشتاين :

ـ سمعا وطاعة يا سيدى .

فأضاف سابت الى ذلك قوله :

ـ اذا حاول الهرب فارمه بالرصاص ثم اهرب الى الحدود وابرق الينا من هناك لنعرف اين اختبأت . .

فأجاب بكل بساطة :

ـ أمرك ياسيدى .

لقد أحسن سابت الاختيار ، فهذا الضابط الشاب لم يكن يحفل أى احتفال بالخطر الذى قد تجره عليه خدمة الملكة .

وكان ريشنهايم يجلس وحده فى طرف الغرفة الآخر ، فقال سابت :

ـ لاأظنه سيسبب لك عناء يذكر .

فقال رودلف :

ـ ولكن تصرف كما لو كان خليقا ان يسبب لك اشد العناء .

فضحك سابت وقال :

ـ احسنت يا رودلف . لعمرى لقد كنا نساس احسن السياسة حينما كنت ملكا علينا !

وانصرف برننشتاين ليرسل البرقيات ويأمر باعداد الجياد لنفسه ولريشنهايم . فلما قفل خرج معه الكونت بغير مقاومة . وكانت الملكة نفسها تشاهد خروجهما من نافذتها ، فلاحظت ان برننشتاين كان يركب متخلفا عن صاحبه قليلا ويده الخالية من العنان مستقرة على مسدسه .

بقى بعد هذا اصعب ما فى الامر ، وهو تدبير طريقة لخروج راسندل من الحصن دون ان يشعر به احد . فأصدر سابت الاوامر الى جميع جنود الحرس ان يقوموا بأداء التمرينات امام

الحصن فى تمام الساعة الواحدة . وان يسمح لجميع الخـــدم بمشاهدة هذه التمرينات . ثم حضرت الملكة الى حجرة سابت كى تودع رودلف .

وقالت له الملكة والدمع يجول فى عينيها !

ـ ما كانت أشد غفلتى حين كتبت ذلك الخطاب فجررت عليك كل هذه الاخطار

فاخرج رودلف صورة الخطاب من جيبه وقال لها برقة :

ـ لو ان لى يا مليكتى من الاعمار عدد ما فى هذا الخطاب من كلمات لبذلت عمـــرا كاملا فى سبيل كل كلمة وردت فيه عن طيب خاطر .

ـ آه يا رودلف ! ولكنك وا أســـفاه لست تملك الا عمـــرا واحدا . وقد حلمت بك حلما عجيبا : فقـــد رأيت اننى فى استرلساو ، وجميع الناس يتحدثون عن الملك . وكانوا يعنونك انت ، فقـــد كنت أنت الملك . فحاولت ان أقول لك انك الملك . . اجـــل ، والكولونيل سابت هنا وفريتز وجميع الناس كانوا يصيحون انك الملك ، ولـــكن وجهك كان جامدا شاحبا ، وكانك لم تكن تسمعنا ، فماذا عسى ان يكون تأويل هذا الحلم يارودلف ؟

فأجابها :

ـ انا ايضا احلم بك . ولكن ما تاويل ذلك سوى اننى ما زلت احبك ؟

وفى هذه اللحظة ارتد سابت عن النافذة التى كان ينظر منها وقال ان الحراس قد وقفوا فى الخارج على استعداد ، ثم تعجله قائلا :

ـ ان الوقت ثمين فلا تضيعه

فقال رودلف اخيرا :

ــ وداعا يا مليكتي .

فهمست قائلة :

ــ كان الله معــك على الدوام يا رودلف .

وبينما كانت الملكةمتجهة نحو البــاب سمعت خطوة خارجــه فهمس رودلف سائلا :

ــ اهو الملك ؟

فقالت الملكة بغير تردد :

ــ كلا انه ليس الملك

ثم تعاقبت طرقات خفيفــة سريعة على الباب ، فقال سابت لرودلف :

ــ وراء الستار !

فاطاع رودلف فى الحال وفتح ســابت الباب فاذا برننشتاين الذى قال :

ــ اسرعوا بحق الله اسرعوا !

فخرج رودلف من مكمنه وا حاطوا به جيما ، وصاح رودلف وقد حدس حقيقــة ما وقع فى الحال

ــ هل افلت ؟

فأجاب برننشتاين :

ــ نعم . فما ان غادرنا مدينة زندا ، حتى قال : « هل نظل سائرين ببطء طول الطريق » ولم ار موجبا للابطــاء ، ومن ثم همزنا جوادينا ، و . . . ولكن ما كان اغبانى !

فقال سابت مزمجرا :

ــ اظن جوادك فعلها ؟

ــ اجل ، فقد عثر حافره فكاد يسقط ووقعت على عنقــه ، فسقط منى مسدسى الذى كان فى يدى ساعتئذ ، على الارض .

فقال سابت :

ــ وراى ذلك ريشنهايم ؟

ــ رآه عليه اللعنــة ! فوجم لحظة ثم انطلق مخترقا الحقول نحو استرلساو . فقفزت الى الارض وتناولت المسدس واطلقت عليه ثلاث رصاصات

فسأله رودلف :

ــ وهل اصبته ؟

ــ اظن هذا . فقد رايته يهز احد ذراعيه . وركبت وراءه ، ولــكن جواده كان خيرا من جوادى ، فلم تــكن هناك جدوى من المطاردة ، فجئت الى هنا كى اخبركم . فلا تمهد الى يا كولونيل بعمل بعد هذا .

واغضى سابت عن ملاحظته الاخيرة ، بيد أن رودلف وضــع يده على كتف الضابط الشــاب التعس وقال له بحنان :

ــ لقد كانت مصادفة سيئة .

ونظرت اليه الملــكة وقالت بلطف :

ــ سيدى ليس النجاح هو الذى يستحق الشكر ، بل الكفاح .

وساد الصمت لحظة ، ثم تكلم سابت فقال :

ــ والآن ما العمل ؟ فقد ذهب ريشنهايم الى استرلساو .

فقال راسندل :

ــ انه سيخبر روبرت ويمنعه من الحضور .

ــ قد يفعل وقد لا يفعل . فيجب أن نستعد للاحتمالين .

وتبادل راسندل وســابت النظر ، فقال راسندل :

ــ يجب ان تبقى هنا ، وساذهب انا الى استرلساو ، وساعثر على روبرت وريشنهايم أيضــا اذا كانا فى المدينة .

فتضرع اليــه برنشتاين قائلا :

ـ خذنى معك يا سيدى

فقال سابت :

ـ كلا . اننا بحاجة اليك هنا . فماذا يحدث لو ان روبرت جاء هنا مع ريشنهايم ؟

وكانت الفكرة طريفة ولكنها ليست بعيدة الاحتمال اطلاقا ، فصاحت الملكة :

ـ ولكن سيذهب رودلف وحده الى استرلساو ، فيكون وحده ضد الاثنين ؟

فأجابها الكولونيل :

ـ أجل يا سيدتى ، فهو كفء لمثل ذلك .

فمسحت دمعة من عينها ولتفتت الى رودلف ، فقال بهدوء :

ـ يجب ان اذهب . ويجب أن يبقى برننشتاين هنا مع سابت الى ان يحضر فريتز . اذ لا يمكن أن ابقى هنا ..

فأرسل سابت برننشتاين ليحضر جوادا قويا لرودلف ، فقد كان عليه أن يركب جوادا لان ركوب القطار غير مامون العاقبة بالنسبة له . وقال سابت :

ـ ستصل الليلة الى هناك . فاذا وصلت فانتظر اذا لزم الامر حتى يخيم الظلام . واذا احتجت الى ماوى فاذهب الى بيت فريتز

فقال رودلف :

ـ ومن هناك الى العنوان .

وتلا ذلك وداع سريع ثم خرج رودلف من الباب الخلفى للحصن مع سابت ، وقال له سابت يستحثه :

ـ أجهز على روبرت فى هذه المرة !

ـ سأفعل ان شاء الله !

ـ ساكون فى بيت الصيد لان روبرت قد يحضر ، وان كنت لا أظن انه سيفعل .

ـ ولكن افرض أن روبرت جاء الى هنا فى الحصن ٠

ـ لن يتيح له برنشتاين أن يقترب من الملك ٠

ـ وداعا ياسابت

ـ حظا سعيدا !

وبعد خمس دقائق كان رودلف يجد السير على صهوة جواده مخترقا غابة زندا ، وقد سبقه على مسيرة ساعة الكونت لتزاو ريشنهايم !

وكذلك تدخلت يد القدر فى الموضوع مرة اخرى ، منذا الذى يستطيع أن يتكهن بما سيكون بعد ذلك ؟!

رسالة حارس الصيد

تلقيت البرقية التى بعثوهاالي من زندا وانا فى منزلى بالعاصمة « استرلساو » فى نحو الساعة الواحدة ، فاخذت استعد للذهاب فورا ، بالرغم من احتجاجات زوجتى بضعف صحتى . .

وكان جيمس ــ الذى يبدوانه كان فى روريتانيا من قبل خادما لدى السفير البريطانى فيهاــ ذا نفع كبير لى ، ولما لم تكن ثمت قطارات حتى الساعة الرابعة تبلغنى زندا ، فقد رتب جيمس قيام قطار خاص لى ، فسرعان ما ركبت عربتى متوجها الى المحطة ..

وكان الطريق الى المحطة يجتازفى بعض مراحله مناطق من المدينة مزدحمة بالسابلة ، ففى « شارع الملك » تلقيت مايشبه الصدمة وينبغى فى هذا الموضع ان يذكر القارىء تمام الذكر اننى لم اكن اعرف فى ذلك الوقت شيئا عن العنوان الذى حصل سابت عليه من ريشنهايم ، لهذا كانت دهشتى بالغة حين رايت على افريز الشارع خادمى السابق الخائن « بوير » ، فعن لى على الفور انه اذا تسنى لى ان اضع يدى عليه ــ ولى فى تضييعه حقائبى فعلة كافية ــ فقد استخلص منه شيئا ذا اهمية عن روبرت .

وقفزت من العربة وجريت خلف بوير ! ولمحنى فورا فاسرع يجرى ... وعرفنى كثير من المارة فافسحوا لى الطريق ، فسهل لى هذا أن أدنو منه ، ولكن شيئا مزعجا حدث لى فى تلك الساعة ، اذ اصطدمت وانا اعدو بسيد مسن بدين جدا ، وكان بوير قد اصطدم به منذ لحظة ، فكان الرجل واقفا ينظر خلفه فى اتجاه بوير الذى استانف جريه ، وقد علا وجه الشيخ المسكين الغضب والاستنكار .. فاذا بى أكرر معه

الماساة نفسهـا . فلما أستفقت من الصـــدمة وتلفت ، لم أعثر لبوير على اثر . فقد اختفى ولم ادر فى أى بيت قد دخل ..

واستأنفت سيرى ، حتى اذا بلغت رقم ١٩ ، برزت من الباب امراة عجوز ، عرفتها على الفور، كما عرفتنى : فهى الام «هولف» وكان أحـــد اولادها المدعـو «جوهان» قد اخبـرنا باسرار سجن الملك فى حصن زندا . حين كان سجينا به قبل التتويج فى يد اخيـه الدوق ميكل منذ ثلاث سنوات . وكان ابنها الآخر قد قتل بيد المستر راسندل .

وقلت لها بألطف مايمكن من عبارة :

ـ ايتها الأم هولف ... منذ متى استقر بك المقام فى مدينـة استرلساو ؟

فأجابتنى :

ـ ان امراة عجـوزا مسكينة مثلى لابد لها ان تعيش بأى وجه، فها انا اؤجر غرفا للشبـان فى بيتى ..

ـ وهل لديك منهم احد الآن؟ .

فقالت شاكية :

ـ بتـاتا ! ان الوقت صعب ياسيدى ..

وقد داخلنى الشك فى صدقها، مع ما اظهرت من مسكنـة ، فقلت لها على سبيل التخمين :

ـ ولكنى أحسب الرجل الذى دخل الآن من مستـأجريك . اليس كذلك ؟

فاجابتنى ، ويداها فى خاصرتها :

ـ لم يدخل احد من هذا الباب ياسيدى ..

وكانت وقفتها فى الباب بشكل يبرز تصميمها على أن تمنعنى من الدخول .. ولم يكن تحت يدى مبرر للاقتحام .

وفى هذه اللحظة اسرع جيمس نحوى قائلا :

ـ ان القطار يقوم فى ظرف خمس دقائق ياسيدى ، ولا بد لنا من الاسراع .

وابتسمت المراة العجوز حين استدبرتها مستأنفا طريقى ، فشعرت اننى كنت علي اثر صحيح لبوير ، وربما أيضا لمن هو اهم منه .. ولكن لم يكن لى مناص من اطاعة الاوامر الصادرة لى والاسراع الى زندا .

وكنت قد خطوت خطوة واحدة فى الشارع ، حينما وقفت وكأن رصاصة قد اصابتنى :فقد سمعت ضحكة عالية مرحة تصدر من داخل البيت ، وقد عرفت ضحكة من هذه . ولكنى حاولت ان اخفى عن المراة العجوز اننى لاحظت أى شىء .. بيد انى لم آكد أصل الى المحطة حتى قلت لجيمس :

ـ أن روبرت هنتزو فى ذلك البيت ياجيمس .

ـ احقا ياسيدى ؟ هل ابقى لأقوم بالمراقبة ؟

فقلت له :

ـ كلا . بل تعال معى ..

فقد كنت أعلم ان تركى له كى يقوم بالمراقبة هو بمثابة التمهيد لقتله قبل ان تشرق شمس الغد . ثم هو فضلا عن هذا ليس خادمى انا .

***

ووصل القطار الى زندا فى منتصف الرابعة تماما فكنت فى الحصن قبل تمام الساعة الرابعة . وسرعان ما أخبرونى بما حدث أثناء غيابى .. وبدا على وجهى الجزع والحزن حين سمعت ان رودلف راسندل قد توجه الى دأستر لساو، وحده ليضع رأسه بين فكى الاسد فى شارع الملك .. فقلت :

ـ سيكونون ثلاثة هناك : روبرت وريشنهايم والوغد الذى خاننى بوير .

فقال سابت مذكرا :

ـ اما روبرت ، فلا ندرى على التحقيق أين يكون ، ويجب ان نحتاط للقائه أينما ظهر .. وها نحن أولاء على استعداد، فسنركب انا وانت ، الى بيت الصيد ، ورودلف سيكون فى «استرلساو» وبرتنشتاين سيكون هنا بجوار الملكة . فقلت :

ـ واحد فقط سيكون هنا ؟

فأجاب سابت ، وهو يضع يده على كتف برتنشتاين .

ـ أجل . واحد فقط ، ولكنه كفء للعصبة أولى العدد .. ثم ان الملك سيكون آمنا فى فراشه حين نكون نحن فى بيت الصيد .

ولم يقض هذا الكلام على مخاوفى من جهة ما قد يحدث للمستر راسندل ، وان لم استطع ان اجد للمسألة حلا آخر ...

ونظر سابت الى ساعته ثم قال :

ـ آن للملك أن يعود من نزهته التى ركب لها فى الغابة وسيكون متعبا فيأوى الى فراشه فورا . وسنكون نحن بذلك احرارا فى الساعة التاسعة يافريتز ، وانى لأتمنى ان يأتى روبرت الى بيت الصيد هذا المساء ..

ودقت الساعة السادسة دون أن يظهر الملك . وما هى الا لحظات حتى جاءتنا اشارة من الملكة ترجونا فيها الحضور الى الباب الامامى للحصن ، فذهبنا ووجدناها تتمشى جيئة وذهوبا فى قلق شديد ، وقد ازعجها تأخر الملك عن العودة . فكل شىء فى ظروفنا تلك كان يبدو لنا أهم من حقيقته بكثير .. والواقع ان مخاوفنا كانت قد طغت على فطنتنا ، فأخذنا نتصور كل سبب

من الاسبـــاب المستحيلة فعلالتأخر الملك ذلك الاصيل ..

ولئن بدا لنا تأخر الملك غريبافى الساعة السادسة ، فقد كان اغرب فى السابعة ، واشد غرابةفى الثامنة .. وكنا عند ذلك قد توقفنـــا عن طرق الموضوعاتالخفيفة والمرحة ، واستولى علينا الوجوم والصمت فان الظلام كانقد خيـــم ولم نكن ندرى ماذا نصنع بل ولم نكن ندرى ايضـاأيحق لنا ان نفعل شيئا ،وأماعن نفسى فانى قد عيل صبرى ولمتعد لى طاقة بالاحتمال فصحت:

ـ استحلفكم بالله ان نفعــلشيئا ! هل اذهب وافتش عنه .

فقال سابت مزمجرا :

ـ اتبحث عنابرة فى كومة منالقش ؟!

ولكن فى هــذه اللحظة طرقتسمعى اصوات جياد على الطريق القادم من الغابة ، فصاحبرنشتاين

ـ هاهم اولاء قد اقبلوا !

فوقفنـــا جميعا متقاربين ،وشـــدت الملكة فراءها فأحكمت وضعه حول جسدها لأن الطقسكان باردا . ثم راينا اشباح ثلاثة رجال يقتربون منا ،فاذا همرجال صيد الملك ، وكانوا ينشـــدون اغنية مرحة من اغانى الصيد ،فوقع ذلك الصـــوت منا موقع الارتيــاح ، ذلك انه اشعرنا عىالاقل انه لم يقع مكروه . ولكن لمــاذا لم يكن الملك معهم ؟ فقالبرنشتاين :

ـ لعل الملك احس بالتعب نهويتبعهم بسرعة اقــل على صهوة جواده .

واقترب احد حراس الصيدالثـــلاثة وكان حسن الثياب فى حلته الخضراء الواشاة بالذهب ، فانحنى أمامالملكة انحناءة عميقة وقال :

ـ ياصاحبةالجلالة . ان جلالةالملك قد حملنى رسالة ..

فأجابته الملكة :

ـ هاتها اذا سمحت ياسيمون .

ـ سأفعل ياسيدتى ، فانالملك قد استمتع بصيد فاخر ، فكان الطراد جميلا حقا ..

فقاطعه سابت قائلا :

ـ رسالة الملك اولا ياسيمون!

ـ وهو كذلك ياحضرةالكولونيل . لقد تمتع الملك بيوم صيد رائع ، وقد عثرنا علىخنزير فى الساعة الحادية عشرة ..

فسألته الملكة مبتسمة :

ـ هل هذه رسالة الملك ؟

ـ كلا ، ليست هى تماماياسيدتى .

فزمجر سابت قائلا :

ـ اذن هاتها واسرع بحقالسماء !

فقال سيمون :

ـ حينما وفق الملك الى قتلالخنزير كان الوقت قد غدا متأخرا ..

فزمجر سابت وهو يجذبشاربه فى قلق وقال :

ـ ان الوقت ليس اشد تبكيرامن ذلك الآن .

ولم استطع ان اكتم الابتسامعلى الرغم من جدية الموقف . أما الشاب برتنشتاين فقدقهقهوقالت الملكة :

ـ نعم ياسيمون . لقد كانالملكمتعبا جدا .

ـ أجل ياسيدتى ، عندماقتلالخنزير بالقرب منبيتالصيد..

ولست ادرى ان كان سيمونقد لاحظ التغير الفجائى على وجه أى واحد منا ، ولكن الملكةعلى كل حال كانت تحدق فيه

فاغرة الفم ، وكلنا قد خطاليزداد منه قربا ، وحتى سابت لم يقاطعه فى هذه المرة ،فاستطردسيمون قائلا :
ـ ... قال لنا الملك حينئذخذوا الخنزير الى هناك ، ثم تعالوا فى الغد ، فجئنا جميعاماعدا أخى الصغير هربرت الذى بقى مع الملك .
فصاح سابت :
ـ بقى مع الملك ؟ اين ؟
ـ فى بيت الصيد طبعا . فانالملك سيقضى هذه الليلة هناكثم يحضر الى هنا فى الصباح ، فهذههى رسالة الملك ياسيدتى .
فجعلنا جميعا ننظراليه وينظركل منا الى صاحبه دون ان نتفوه بكلمة . فأدرك سيمون انفى الامر شيئا ، ولهذا صرفته فانصرف وقد ارتسمت علىوجهه الحيرة .
وتساءل سابت :
ـ أهى أصبع القدر ؟ لقدقلنافى برقيتنا المزورة آنالملكسيكون فىبيت الصيد . وهاهوذاهناك .
فقلت أنا :
ـ فاذا ذهب روبرت الى هناك ...
وهتفت الملكة تستحثنا :
ـ وخطابى ايها السادة ؟
فقال سابت :
ـ لم يتغير فى الامر شىء ياسيدتى . فلتبق انت هنا يابرننشتاين كما اتفقنا . أمافريتز فسيأتى معى فى الحال الى بيت الصيد ، فانه يجب ان تكونهناك قبل روبرت .
ونادينا خادما فأحضر اليناجيادنا فى بضع دقائق .
وسألت الملكة فى قلق :

ـ أتراكم ستكونون هناك فى الوقت المناسب ؟

فأجابها سابت :

ـ قطعا ياسيدتى .

ولكني كنت عالماانه ليس واثقامن ذلك كل الثقة ، ذلك ان ثرثرة حارس الصيد سيمون الملعون قدضيعت علينا بضع دقائق ثمينة بعد ذلك الوقت الذى ضاع فى انتظار عودة الملك ، فالساعة حينئذ كانت قد تجاوزت التاسعة بنصف ساعة .

وقبل كل منا يد الملكة ثم انطلقنا راكبين كأن الشياطين فى اعقابنا فما ان انقضت لحظة او لحظتان حتى سمعنا وراءنا صوت جواد يتبعنا ، فجذبنا اعنة جوادينا كى نرى من هذا . فلما بدا اخذ سابت يسب ويلعن فى مزيج من الضيق والسرور ، وقلت انا .

ـ اهذا انت ياجيمس ؟

فأجابنى خادم مستر راسندل :

ـ نعم ياسيدى

ـ وماذا تريد بحق الشيطان؟

ـ ان أوامرى التى انفذها هى ملازمة الكونت فريتز ياسيدى .

ـ ولكنى لم اعطك اية أوامر كهذه ياجيمس .

ـ كلا ياسيدى ولكن كان هذا هو آخر امر تلقيته من المستر راسندل ياسيدى .

فصاح سابت :

ـ ولكنك تركب احسن جواد عندى !

فأجاب جيمس :

ـ أحقا ياسيدى ؟ لقد خيل الى فعلا انه احسن جواد وجدته امامى ، فقد خشيت الا الحقكما.

وساد الصمت لحظة ، ثم ضحك سابت وقال :

ـ وهو كذلك . الى الامام اذن ! .

وانطلقنا ثلاثتنا مخترقين الغابة .

غضبة بوريس

من اليسير ان يرى المرء الآن ، وقد مضت على تلك الاحداث مدة مديدة، كيف تدخل القدر فى خطتنا التي احكمناها فالتوى بها الى نهاية غريبة لم نكن نتوقعها لها ، ولم تكن تخطر لنا ببال فى ذلك الحين .. فلو ان الملك لم يذهب الى بيت الصيد ، لكنا قد قابلنا روبرت هناك كما اردنا . ولو ان ريشنهايم افلح فى تحذير روبرت فى الوقت المناسب ، لما كان الموقف قد تغير على هذا النحو .

بيد ان القدر اراد غير الذى اردنا ... فاذا الملك يشعر انه متعب ، فياوى الى بيت الصيد . واذا بريشنهايم لا يبلغ « استرلساو » فى الوقت المناسب لمقابلة روبرت قبل أن يبارحها واطبق علينا الفشل وكانت لنا عنه مندوحة قريبة ، لان ضحكة روبرت دلتنا على انه كان فى المدينة قبل أن ابرحها انا ...

اما ريشنهايم ـ كما علمنا فيما بعد ـ فقد وصل الى البيت فى شارع الملك فى منتصف الساعة الخامسة ، لانه استقل القطار من محطة صغيرة فى الطريق الجانبى، فتمكن بذلك من الوصول الى العاصمة قبل ان يصلها رودلف راسندل الذى لم يستطع ركوب القطار ، لانه لا يجسر على اظهار نفسه للناس .

ويبدو أن روبرت غادر البيت بعد ان سمعته يضحك مباشرة . ولما لم يكن هناك ما يخشاه فى « استرلساو » ، فقد استقل القطار الى محطة « هوفباو » القريبة من بيت الصيد ، فوصلها فى منتصف الساعة السادسة .. ولا بد أنه مر بالقطار الذى كان ريشنهايم قد استقله مصعدا الى العاصمة ليلحق به هناك .

وقد سمع ريشنهايم اول الانباء المتعلقة بالموضوع من . فم الأم هولف، فلم يدر ماذا يصنع ، بيد ان حذره أملى عليه أن يلبث مكانه فلا يبرحه، حتى اذا نجح روبرت فى الاتصال بالملك ، كانت لريشنهايم الحظوة.

اما ان أخفق ، فان فى استطاعة ريشنهايم ان يظفر بالصلح معنا عن طريق اطلاعه على سر زيارة مستر راسندل لزندا ... وكان الجرح الذى أصيب به ذراعه عذرا كافيا له فى عدم القيام بأى حركة.

ولكنا ـ انا وسابت ـ لم تكن ندرى شيئا عن هذا كله ونحن نخترق غابة زندا على صهوتى جوادينا ، فكان فى وسعنا ان نأمل او نتوجس او نلجأ الى الحدس والتخمين ، اما ماكنا نعرفه معرفة اليقين فكان لا يتجاوز علمنا ان روبرت هنتزو كان فى استرلساو فى الساعة الثالثة . وان ريشنهايم يطارده رودلف راسندل الى هناك .. وكنا نعمل على افتراض أن روبرت لم ير ابن عمه ريشنهايم ، وانه توجه الى بيت الصيد راسا . . ولكنا كنا متأخرين عن الموعد ، وكان احساسنا بهذا يجثم على صدورنا ، وان كنا لم نشر الى ذلك فى كلامنا . . وانما كان يدفعنا ذلك الى حث جيادنا على الجرى بأقصى سرعتها . .

وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة فعلا ، وهى الساعة المحددة للمقابلة فى برقيتنا المزورة، حينما وصلنا الى بيت الصيد ، فترجلنا غير بعيد من ذلك المكان، ثم ربطنا جيادنا فى شجرة ، ومشينا الى بيت الصيد مسرعين ، وقال سابت انه يرى ان يدخل وحده ، ففى وسعه ان يزعم ان الملكة ارسلته للاطمئنان على صحة الملك، واننى يجب ان انتظر فى الخارج بر فقة جيمس حتى نمنع روبرت من الدخول اذا هو جاء . اما اذا كان قد حضر قبلنا وانقضى الامر ، فان سابت حرى ان يعلم ذلك من سحنة الملك وحالته النفسية .

وكان هناك احتمال ثالث : فمن الجائز ان يكون روبرت موجودا الآن فى حضرة المليك .. ولكن لم تكن لدينا خطة مرتبة لمواجهة هذا الاحتمال ... وأرجح اننا كنا فى هذه الحالة حقيقين ان نقتل روبرت ثم نحاول اقناع الملك بأن الخطاب الذى يحمله روبرت خطاب مزور.

وقبالة الباب مباشرة ، وقف سابت ثم اشـــعل عود ثقاب ، فتوهجت شعلته فى الهواء الساكن توهجا شديدا ، ثم اشـــار الكولونيل بيده الى آثار حوافر مرتسمة على الارض النـــدية . وقد انتهت الآثار عند شجرة ، ومن هذه الشجرة ارتسمت على الارض آثار اقدام انسان متجهة نحو بيت الصـــيد ، ثم آثار الاقدام نفســها عائدة من بيت الصيد الى الشجرة . اذن فقد جاء شخص ما الى بيت الصيد ثم غادره ثانية . ولا يمـكن ان يكون هـــذا الشخص سـوى روبرت . فالملك اذن قد وصل الى يده الخطاب ، ونحن اذن قد جئنا متأخرين .

ومهما يكن من امر فان ما وقع قد وقع ، ولا محيص عن مواجهة البلاء ، ولذلك دخلنا البيت بغير تردد ، ولم نجد فيـــه ضوءاً ، فشهرنا مســـدساتنا وطرق سابت البـــاب فى لطف فلم نتلق جوابا ، ففتحنا الباب ونظرنا فى الداخل فاذا الدهليز مظلم مقفر ، فقال سابت هامسا :

ـ ابقيا أنتما هنا كما اتفقنا .

ودخل هو وبقيت انا وجيمس نصغى لماعساه ان يكون ، وسمعنا وقع خطـواته يتوقف ، ثم وقع متعثرا بشىء فى الدهليز ، وبعد لحظة واحدة كان قد عاد الينا عند الباب ، فهمست :

ـ ماذا جرى ؟

ـ لقد تعثرت فى جثة !

ـ ماذا ؟ جثة من ؟

ـ تعال معى .

فتبعته الى داخل البيت ، ثم اشعل سابت عود ثقاب فادهشنى ان اتبين ان الجثة جثـة كلب ، فقلت ! فى صوت هامس ، مع انه لم يكن هناك حس ينم عن وجود احد فى البيت !

ــ وى ! هــذا بوريس كلب الصيد الذى يطارد الخنــازير البرية !

وعثر سابت بمصباح من مصابيح البترول فأوقده ، وبهذا امكننا ان نرى رصاصة مستقرة فى راس الكلب . وكنت اعرف بوريس معرفة جيدة فهو كلب صيد ممتاز فى نوعه وشديد الطاعة للملك ، ولكنه غير مأمون مع غيره من النــاس . وقال سابت مشيرا بيده :

ــ انظر !

فاذا موضع رصاصة اخرى فى كتف الكلب ، ولكن كان العجيب حقا انه كانت بين انياب الكلب قطعة من قماش رمادى فيها زر ، واستطعت بعد شيء من العناء ان استخلصها من بين اسنان بوريس فاضعها فى جيبى بناء على طلب سابت .

وقال سابت :

ــ من الخير ان نرى كل ما استطعنا . هيا بنا .

ومضينا فى الدهليز ، فلم نلبث ان وقفنا فجأة ، فقد سمعنا انينا صادرا من وراء باب ، ففتحنا ذلك الباب ورفع سابت المصباح عاليا ، فاذ هربرت الحطاب قد شحب وجهه واتسعت حدقتاه . واخذ يزحف على الارض وساقاه ممدودتان وراءه ولا نفع له فيهما ، فسأله سابت :

ــ ماذا جرى ياهربرت ؟

فأجاب فى صوت منخفض ضعيف :

ــ لقد اصبت ياكولونيل ، ولن اصيد بعد اليوم ، اصبت هنا فى معدتى . آه ياالهى !

وسقط رأسه على الارض ، فجريت لكى ارفعه وركعت على ركبة واحدة ثم اسندت راسه الى رجلى ، بحيث جعلته ، جهد

المستطاع فى وضـــع مريح ، ثم قال له سابت
ـ قل لنا ماذا حدث .

وبعبارة بطيـــــة بدا فيهـاالجهد بدا هربرت قصته . وكان يضطر فى مواضع منهاالىالتوقفليستجمع قواه ، بيد اننا كنا غير متلهفين فاســـتمعنا اليـه دونحساب للوقت . وقد تلفتحولى مرة واحدة لانى سمعت صوتا ،فاتضح ان جيمس قلق علينـــا فتسلل الى الدهليز وانضم الينا،وبذلك استمع الى القصـــة التى تبين كيف تنجم اخطر العــواقبعن أهون الاسباب !

لقد تناول الملك عشاء خفيفـاثم ذهب الى مخدعه واضـــطجع فوقه بدون ان يخلع ملابسه .وكان هربرت مشـــغولا بتنظيف حجرة المائدة عندما وجد رجلايقف الى جواره فجاة ، ولم يكن هربرت يعرف ذلك الغريب ،لانه كان جديدا فىخدمةالملك . وقال الرجل لهربرت :

ـ ابلغ الملك اننى هنا ، فهـوينتظرنى .

وتأهب هربرت لاول وهلة للاندفاع الى باب الملك ليدافع عنه، ولكن لهجة روبرت الآمرة الواثقة ، حين اعاد عليه الكلام ، سكنت جائش القلق . واستطرد روبرت يقول :

ـ واذا سالك من هو ، فقل لهان معى الصندوق والخطاب .

ودخل هربرت حجرة الملك ،فوجده نائما ، فلما ايقظه لم يجد لديه اى فكرة عن زائر او خطاب، فبرزت مخاوف هربرت ثانيـــة وهمس للملك ان الغريب يحمـل مسدسا .

ومهما يكن من عيـوب الملك ، فهو على كل حال لم يكن جبانا ، فقفز من فراشـــه ، وفى الوقتنفســه خرج من تحت المنضـــدة بوريس كلب الصيدالكبير،فزمجر على حين غرة ، ذلك ان روبرت كان قد مل الانتظار فبرز فى فرجة الباب .

ولم يكن الملك أو هربرت مسلحين ، فبنادقهما كانت فى حجـرة اخرى . وقد عرف الملك روبرت على الفور . فقال وهو يتراجع خطوة الى الوراء :

ــ انت !

وشم بوريس رائحة الخطر فزمجر مرة اخرى ، وقال روبرت باسما وهو ينحنى :

ــ الم تكن تتوقع حضوري يامولاى ؟

فقال الملك :

ــ كلا . فكيف تجسر على الحضور الى هنا ؟

فصاح روبرت وقد لمع فى خاطره المتوقد انه قد استدرج الى كمين :

ــ الم تكن تنتظرنى حقا ؟

وامتدت يده الى مسدسه ، فالقى هربرت بنفسـه أمام الملك الذى كان جالساعلى حافةالفراش كى يحميه بجسده .

اما روبرت فظل مبتسما وان بدت عليه الحيرة كما قال لنـا هربرت ، وتقدم خطوة وهوينعت ريشنهايم نعتا قبيحا .

فصاح الملك :

ــ ارجع !

فتوقف روبرت،ثم اخرج من جيبه صندوقا صغيرا فأراه للملك وقال :

ــ ليكن . انظر الى هذا يامولاى ، ثم لنتكلم عنه بعد ذلك

فسأله الملك :

ــ ماهذا « خذمنه ياهربرت » .

ولكن هربرت تردد ، خشية أن يترك الملك وقد كان يحميه بجسده ، فنفذ صبر روبرت ،لان كل لحظة تمر معناها اطباق

الخطر لو أن هناك كمينا ، فقال وهو يضحك ضحكة ازدراء :

ـ تلقفه اذن ان كنت خائفا ان تأتى لتتناوله منى !

ثم رمى الصندوق الى الملك !

فكان لهذا العمل أثر عجيب: ذلك ان بوريس كان فى أسرع من لمح البصر قد قفز قفزةهائلة وهويزمجر زمجرة وحشية فاطبق على عنق روبرت ، ويبدو ان روبرت لم يكن قد رأى الكلب أو انه لم يكن قد اعاره اهتماما ، فجرد مسدسه وأطلق النار ، ولابد ان الرصاصة قدحطمت كتف الحيوان ، ولكنها لم توقف وثبته تماما ، فرزح روبرت تحت ثقل الكلب الضخم حتى جثا على ركبته ، ووقع الصندوق على الارض دون ان يلتفت اليه أحد ، وقفز الملك مستشار الغضب ، وجرى ماراً بروبرت الى الحجرة الاخرى ، حيث تبعه هربرت فالقى روبرت الكلب بوريس الجريح واندفع وراءهما.

وعندباب الحجرة الاخرى الفى نفسه وجها لوجه أمام هربرت، الذى كان يحمل فى يده حربةمن حراب صيد الخنازير ،وأمام الملك الذى كان يحمل بندقية من بنادق الصيد • فرفع روبرت يدهاليسرى، على رواية هربرت، غير طالب شيئا سوى ان يسمعه الملك، ولكن الملك سدد اليه البندقية • فقفز روبرت بسرعة قفزة اتاحت له أن يحتمى بالباب، فمرقت الرصاصة من جانبه واستقرت فى جدار الغرفة • ثم هجم عليه هربرت بالحربة • فلم يعد هناك محل للتفاهم لان المسالة أصبحت مسألة حياة او موت ، فاطلق روبرت الرصاص بغير تردد على هربرت ، فجندله على الارض باصابة قاتلة •ورفع الملك بندقيته الى كتفه مرة أخرى فصاح به روبرت :

ـ أيها المغفل الملعون ! لقد أردتها فخذها !

ودوت رصاصة المسدس مع رصاصة البندقية في وقت واحد بيد ان روبرت الذى لايزعج اعصابه شيء أصاب الهدف ، أما الملك فأخطأه . ورأى هربرت روبرت ينظر الى جسد الملك لحظة ثم يمشي نحو الباب . فكان هذا آخر عهد هربرت به .

وحينئذ برز الى المسرح الممثل الرابع في هذه المأساة ، ذلك الممثل الاعجم الذى كان دوره فيها بالغ الاثر ، فقد استجمع بوريس قواه وهو يئن من الالم ويزمجر بالغضب ليتعقب روبرت .

وسمع هربرت صوت المعركة من مكانه ، ولكن الكلب لم يسمح له جرحه بالوثوب الى وجه عدوه ، فنهش قطعة من سترته في حين كان روبرت يصوب رصاصه الى رأسه . ثم سمع هربرت ضحكة أعقبها صوت انصفاق الباب في عنف .

فلما فرغ هربرت من قصته تبادلنا النظرات جميعا ، فقد كان وجه سابت شاحبا كثير الغضون ، وكان جيمس يبلل شفتيه الجافتين بلسانه ، وكانت عينا سابت وعيناى تتناجى ، وكأننا كنا نقول :

ـ هذه جريرتنا : فقد نصبنا كمينا فكان الملك هو الذى وقع في ذلك الكمين .

ومضينا اليه كي نفحصه ، فوجدناه ملقى على وجهه قرب الفراش ، وكان جليا انه حاول ان يجر نفسه على الارض جرا ، وقد تدفق الدم من فمه ، ولكنه كان قد جف تقريبا . لانه فارق الحياة .

وشعرت بيد سابت تستقر فوق كتفي ، فرفعت اليه نظرى فاذا هو يشير الى يد الملك ، وفيها الصندوق الذى أحضره روبرت والذى كنت قد أخذته الى وتنبرج وقد تخضب بالدم . فانحنيت ورفعت يد الملك الدامية ، فهمس سابت في لهفة :

ـ أهو مفتوح ؟

وجدت الخيط محيطا به • فالصندوق اذن لم يفتح، والسر اذن كان أطول من الملك عمرا، فقدلقي الملك حتفه دون ان يعرفه.
وعاد سابت يسأل، لأن الضوء كان خافتا فلم يستطع أن يرى بعينيه :
ـ أهو مفتوح ؟
فأجبته :
ـ كلا •
فقال بصوت يعتبر ، لصدوره ، من سابت ، ناعما رقيقا :
ـ الحمد لله !
وسكتنا لحظة أولحظتين لانقول شيئا ، ثم مشيت الى حيث كان سابت جالسا وصحت به :
ـ يجب ان نعلن النذير !
فانى لم أكن أفكر الا فى ضرورة الثار ، ولكن سابت لم يتحرك ، وانما جعل يفتل شاربه الكث ويعيد عبارتى :
ـ النذير ؟
ـ أجل • فحين يعرف النبأ سيخف كل رجل فى الدولة للتنقيب عن روبرت فلا يستطيع الافلات •
فسألنى الكولونيل :
ـ سيقبض عليه اذن ؟
فقلت وانا تحت تأثير حرارة الغضب للجريمة :
ـ طبعا !
فنظر سابت الى جيمس الذى كان واقفا بكل هدوء بالقرب منه ، فقد كان كل من الرجلين يفهم صاحبه ، فكلاهما لايتحرك بسهولة ، ولا يهتز بسهولة ، ولايمكن تحويله عن الغرض الذى عقد النية عليه أو الامر الذى بين يديه ، ثم قال لى سابت :

ـ أجل ، يقبض عليـه وفي حوزته خطاب الملكة ٠

وكنت قد نسيت ،فالصندوق بين يدينا الآن ولـكن روبرت مازال مالـكا الخطاب ، فاذا هو قبض عليـــه حيا أمـكنه أن يستخدمه أملا لانقاذ حياته أو شفاء غليله ، واذا هو قتل ووجـــد الخطاب في ملابسه افتضح الامر وذاع في العالم أجمع ٠ وتبين لى في الحال ان واجبنا بعيد كل البعد عن العمل على القبض على روبرت أو قتله بل يجب ان نعمل على حمايته حتى لاتمتد اليه يد بالسوء أو الموت غير ايدينا ٠ ولكن السبيل الى ذلك لم يكن واضحا في ذهني . ذلك ان ملك زورتانيا كان ملقى أمام نظرى قتيلا٠

وتساءلت في قنوط وعجز وأنا أنظر الى جثة الملك :

ـ وما العمل الآن ؟

فأجابني سايت :

ـ لا شيء ٠ لا شيء الى أن نحصل على الخطاب ٠

فصحت به :

ـ ولكن هذا مستحيل !

ـ ولماذا ؟ كلا يافريتز .. انه لما لم يصبح مستحيلا بعد ، وان كان من الممكن ان يمسى مستحيلا بعد حين ٠ أما اذا استطعنا ان نقبض على روبرت في خـلال اليومين التاليين فانه لايكون مستحيلا ٠ دعني أحصل على الخطاب فحسب ،وانا كفيل ان أجد سببا لكتمـان نبأ وفاة الملك ٠ وى ! أليس من المألوف جدا أن تكتم أنباء الجرائم حتى لايحتاط المجرم لنفســـه فينجـــو من العقاب أو يخفى آثاره ؟

فقال جيمس بهدوء :

ـ انك خليق ان تخرج للناس قصة ياسيدى ٠

فقال سابت :

ـ أجل ياجيمس ، ساخرج للناس قصة، أو سيخرجها سيدك عنا ،ولكن سواء لزمت القصة أو لم تلزم ، فالذى لابد منه أن نحصل على الخطاب ! ولايهمنى ان يقولوا بعد ذلك اننا قتلناه بانفسنا اذا راق لهم أن يقولوا ذلك

فامسكت بيده وقلت له :

ـ لاأحسبك تشك فى اننى معك ؟

ـ لم يخطر لى هذا ولا لحظة واحدة يافريتز . والآن اسمع، فهذه خطتى



غضبة كلب الصيد

الملك فى استرلساو

ما زالت صورة ثلاثتنا فى حجرة الملك ببيت الصيد ماثلة امام عينى ، بضوئها الخافت المنبعث من مصباح البترول ، والجثة التى رفعناها فوضعناها فوق الفراش ،وقد رقد هربرت الى جوار الحائط يجود بانفاسه الاخيرة . . . وانى ليعترينى الخجل كلما تذكرت قلة ماشغله من تفكيرنا .. بيد أن الخطط الجسام من شانها ان تلهى القائمين عليها عن دواعى الانسانية.
وقال سابت :

ـ لا بد من ابلاغ النبأ الملكة . فاركب انت يافريتز الى الحصن فورا واخبرها .. واذع فى الناس ان الملك قرر قضاء بضعة ايام فى بيت الصيد،ثم خذ الشاب بر نتشتاين واذهبا الى استرلساو باسرعما فى وسعكما للبحث عن رودلف راسندل .. ثم يتحتم على ثلاثتكم ان تعثروا على روبرت فتحصلوا منه على الخطاب.. فاذا لم تجدوه فى المدينة فابحثوا عن ريشنهايم واجبروه على ان يبوح لكم بمكان روبرت . .

فسألته :

ـ وانت ؟

ـ سابقى هنا انا وجيمس ، فاذا حضر اى انسان ممن نملك منعهم ، قلنا له ان الملك مريض

ـ واذا جاء شخص من ذوى المقامات السامية ؟

ـ نحفر له قبرا ، وندفنه فيه اذا اقتضى الامر ، ولكن بحيث يسهل علينا اخراجه منه فيما بعد ! . .

ولم تكن لدى خطة خاصة ، ولكنى لم اكن ميالا الى خطة سابت هذه .. بيد انها كانت تفسح لنا الفرصة للعمل اربعا وعشرين ساعة .. وبدا ان السر سيظل مصونا فى هذه المرة .. . اما اذا تجاوزت هذا الوقت فان الامل فى النجاح يمسي ضعيفا .

وماذا كنا مستطيعين ان نفعل ؟ فهـــذا الخطر الاول الذى كان يتهددنا ــ وهو ان يصل الخطاب الى الملك ــ قد تلاشى . ولكن كان ثمت خطر اكبر فى الوقت الحاضر ، وذلك احتمـــال العثور عليه فى ثياب روبرت ، فتعرف روريتانيا كلها ، وربما ايضا كل أوربا ، انه مكتوب بخط جلالة الملكة .

ونادانى صوت هربرت الواهن ، فقد احس انه فى النزع الأخير ، فأراد ان أجلس بجواره .. وكان سابت متلهفـا على رحيلى الى الحصن .. ولكنى لم اكن قادرا على رفض الرجاء الاخير لرجـل مسكين ضحى بحياته فى سبيل الملك ، فبذلت خير ما فى وسعى لتسهيل مواجهته منيته ، فكان ثباته عند لقائها باعثا لمزيد من الشجاعة فى نفوسنا لمـا رايناه من اقتدار رجل متواضع المكانة على مواجهة المصير المحتوم بتلك الشجاعة وذلك الهدوء .

ومات هربرت فى الساعة الخامســـة من الصباح فانصرفت واعتليت صـــهوة جوادى وانطلقت محزونا اخترق الغابة .

وكان النهار على وشك الطلوع فزودنى نوره الجديد بأمل جديد . فلما بدا الحصن لنـــاظرى اطلقت صيحة فزع لم تلبث ان انقلبت الى صيحة دهشة .. ذلك ان الراية التى كانت تخفق دواما فوق الحصن مادام الملك او الملكة فيه لم تكن مرفوعة فوقه . وكان فى الضربات التى تلقيناها من القدر كفاية ، ولكننى كنت الآن اتوقع مزيدا منها .

وقابلنى احد الخدم عند البوابة فسألته :

ــ اين الملكة ؟

فاجابنى :

انها ليست هنا ياسيدى فقد رحلت فى الساعة الخامسة

ــ رحلت ؟ الى اين ؟

ــ الى استرلساو يا سيدى دون ان تبــدى سببا ، ولعمرى لقد تكلفنا كبيرعناء فى اعداد العدة للسفرعلى عجل ، فقداستقلت القطار الذى يمر فى الساعة السادسة .

ــ الم تترك رسالة ؟

ــ بلى يا سيدى ، تركت رسالة للكولونيل سابت . وقــد امرت الا اعطيها لاحد سواه .

فقلت له وانا اتصنع عدم الاكتراث :

ــ ان الكولونيل ســابت بقى معالملك فى بيت الصيد . وسآخذ انا اليه الرسالة .

ــ عفوك يا سيدى . ولكنى امرت الا اعطيها الا الكولونيل .

فخانتنى رباطة جاشى حينئذ وصحت :

ــ اعطنى الرسالة ايها الابله فانها عاجلة .

وخطوت نحوه خطوة فوضع يده على جيبه فى حركة دفاعية كشفت لى عن مكمن الخطاب ، فوثبت عليه واخرجته منجيبه ، فكادت عيناه تخرجان من محجريهما دهشة من مسلكى الشاذ ، فأخليت سبيله ومنحته قطعتين من الذهب ، وقلت له :

ــ الم اقل لك انها رسالة عاجلة ؟ فلا تتكلم .

ثم جريت نحو الاسطبلات فامتطيت جوادا آخر وفى خمس دقائق كنت عائدا ادراجى مخترقا الغابة .

وكان سابت وجيمس منهمكين فىمواراة جثة بوريس التراب وقد فرغا من قضاء هذه المهمة نحو هربرت . اما الملك فــكان مسجى فى فراشه مغطى بملاءة ، فالقيت بنفسى من فوقالجواد وانا اصرخ معلنا اليهما النبأ ، فأخذ سابت الخطاب وفضه وهو يسب ويلعن ، اما جيمس فمضى يحفر الارض بمعوله .

وقال سابت وهو يناولنى الخطاب :

ـ لقد ذهبت وراءه !

ولن اكتب هنا ما جاء بخطاب الملكة ، اذ يبدو انها رات حلمها القديم فى المنام مرة اخرى (ولم اكن فى ذلك الوقت قد علمت بالطبع انها روته لراسندل) فلم تستطع البقاء . وكان غيابنا فى بيت الصيد قد طال فخشيت أن يكون السوء قد حاق ، ثم غلبها القلق فقررت الذهاب الى استرلساو لكى ترى رودلف راسندل .

ومهما يكن من أمر فان ذهاب الملكة هو الذى يعنينا وليس الباعث لها على الذهاب . فدخلنا بيت الصيد ، وتذكر جيمس أن الناس ينبغى ان ياكلوا حتى ولو كان الموتى من الملوك ، فاحضر الينا ما نفطر به . واخذنا نتكلم ونحن ناكل ، ولكن شيئا من الخطة لم يتناوله التعديل . فقد كان جليا انه ينبغى أن أذهب الى استرلساو فورا ، لان المأساة لابد ان تمثل هناك .

وفى الساعة التاسعة غادرت بيت الصيد الى هوفباو لكى استقل منها القطار . ووسعنى أن أبرق من محطتها الى استرلساو بحضورى ولكن لم يكن فى وسعى أن اذكر شيئا عما بجعبتى من الانباء . ووصلت الى المحطة الصغيرة فى الساعة العاشرة ، فضايقنى ماتبينت من أنه ينبغى على أن أنتظر ساعة حتى يصل أول قطار . فكانت هذه الساعة من الانتظار اشق من جميع المتاعب التى مرت بى منذ وصلت الى وتنبرج ، تلك المتاعب التى كانت سببا غير ارادى لكل هذه الحوادث الجسام . فقد كانت كل دقيقة تبدو لى كأنها ساعة .

واخيرا جاء القطار فركبته ، وبعد ساعة اخرى كنت فى استرلساو . وفيما كنت اهم بركوب عربة يجرها جواد ، اذجرى نحوى رجل كنت اعرفه ، فلم اتمكن من تحاشيه وابتسمت له

ابتسامة بذلت جهدى ان اجعلها رقيقة . وقال لى الرجل :
ــ لقد كنت أعلم انك ستأتى لهذا جئت أنتظرك
ــ ومن اين جاءك أننى ســأحضر ؟ وهل بنيت على علمــك بوجود الملكة هنا ؟
فأجابنى الرجل مستغربا :
ــ لم يكن لى علم بأن الملــكة هنــا ، ولكن عندما سمعت ان الملك قد وصل . . .
فقلت وأنا فى غاية الدهشة :
ــ الملك هنا ! لابد ان اذهب بسرعة . لا تؤاخذنى .
والتفت الى الســائق وصحت به :
ــ الى القصر ، بسرعة الشياطين !
وغصت فى مقعدى وقد نالت منى هذه الصدمة ، فالملك يرقد صريعا فى بيت الصيد ، ولــكن الملك مع هذا موجود فى عاصمته !
وقد اشرقت الحقيقة فى ذهنى بطبيعة الحال بغاية السرعة ، بيد انها لم تغذنى مزيدا من الارتياح ، فمعنى هذا أن راسندل قد شوهد وعرف فى استرلساو . فما العمل الآن وليس هناك ملك يحل محله ؟ ان الظل لا ينبغى ان يوجد اذا لم يوجد الاصل .
ولو اننى اطلعت على الحقيقة كاملة لكنت فريســة اليــأس ، فالواقع ان راســندل لم يعرف فحسب ، بل ان جمهوراحاشدا قد حياه بالهتاف وهو فى صحبة الملكة فليفيا ! ولم يكن لدى أحد بطبيعة الحال ادنى فكرة عن وفاة الملك . ولكن الم اقل أن قــدرا عجيبا كان يسوقنا جميعا سواء اردنا او لم نرد ؟
وكان راســندل قد وصــل سالما الى بيتى فى الليلة الماضية دون ان يراه او يشعر به أحد . وقد عرفت زوجتى لحسن الحظ من هو فى الحال حين قال لها الخادم ان شــخصا غريبا طويل

القامة محجب الوجه واقف بالباب ومعه رسالة لى ، فادخلت راسندل وصرفت الخدم . وقالت له زوجتى :

ــ قل لى ماذا جاء بك الى هنا ، وماذا حدث ؟

. فأطلعها باختصار على ما كان يعلم ، ثم سألها عما اذا كان فى المقدور ان يتسلل من البيت تحت جنح الليل وان يعود اليه كذلك ، فقالت له :

ــ ان كبير الخدم يحتفظ بمفتاح الباب الامامى ، فمن الخير ان تستخدم النافذة ، وسأبقى فى هذه الحجرة طول الليل اذا اقتضى الامر . فهل المسألة مهمة ؟

ــ اجل يا هلجا . ولئن لم استطع البوح لك بكنهها ، الا اننى استطيع ان اقول لك انها مما يهم الملكة .

فقالت :

ــ اننى مثل فريتز على استعداد لاى شىء فى سبيل الملكة .

ــ اذن احضرى لى شيئا أتعشى به واصرفى الخدم الى مخادعهم .

ففعلت ، واثنى رودلف على هدوء زوجتى هلجا ورباطة جأشها فى تلك الظروف .

وقبل منتصف الليل تماما أطلت زوجتى فالفت البهو مظلما والباب الامامى مقفلا والخدم فى الطابق العلوى فعادت واقفلت الباب بالمفتاح وفتحت النافذة ، وهمس لها راسندل قائلا :

ــ اغلقيها ثانية بعد انصرافى ، فاذا رجعت فسأطرق النافذة على هذا النحو ، واذا لم اعد . . . فلا تقولى شيئا ، وسيظن الخدم اننى انصرفت فى هذه الليلة .

وكانت ساعة الكنيسة تدق مؤذنة بانتصاف الليل حين انزلق رودلف الى الشارع ، وكانت ليلة عاصفة فى استرلساو مع أن

الطقس كان راثما فىزندا ، فلم يكن احد فى الشارع ومع ذلك فمما لم يعلمه رودلف ولا زوجتى ، آن كل شىء كان مراقبا منذ وصوله الى وقت انصرافه : فبالقرب من باب بيتى كان جزء بارز من الحائط ، وفى ظل هذا الجزء كان يقف الرقيب . وكان ذلك الرقيب هو بوير . . انخطأنا الاكبر من البداية الى النهاية هو اننا لم نقدر لهذا المخلوق خطره الصحيح ، فدفعنا ثمن ذلك الخطأ غاليا .

ولم يكن بوير يعرف راسندل ، بيد أنه أصابفى تقديره ، حيث قرر ان يتبعه ، مادام روبرت قد كلفه بمراقبة المنزل وابلاغه بكل من يحضر اليه ، فلماتسلل رودلف من الشارع الى النافذة خرج بوير من مكمنه وتبعه . ودخل رودلف شارع الملكوبوير خلفه بمايقرب من سبعين خطوة ، وقد خطر له ولا شك ان وقع قدميه لا يمكن ان يسمع فى ليلة عاصفة كهذه ، فلم يكن أحد سواه فى الشارع ، بيد انه كان واهما ، ذلك لانه من أهل الحضر ، فى حين أن رودلف الذى نشأ فى الريف ودرج فى الغابات كان مرهف الاذن .

وقد اخبرنا رودلف فيما بعد انه أدرك تماما حين وصل الى شارع الملك ان شخصا ما كان يتعقبه ، ولكنه لم يغير من سرعته ولم يبد اية علامة تدل على الريبة ، وانما عبر الشارع الى الجهة المقابلة للجانب الذى يوجد به المنزل رقم ١٩ ، ثم اخذ يهدىء من سرعته قليلا . فأبطأت الخطوات التى كانت وراءه ايضا ، وتساءل رودلف : من عساه يكون ؟ أهو روبرت نفسه ؟ ما من شىء يطيب لراسندل كما يطيب له قتال روبرت فى العراء .

ولم يضيع وقتا قصيرا فى التفكير بل التفت فجأة واتجه الى بوير مباشرة ، ويده على مسدسه الذى كان فى جيبه .

ورأى بوير ماحدث فمضى قدما متصنعا فى مهارة ان وجـوده انما هو المصادفة المحضة .ولكن رودلف أراد أن يعرف ماإذا كان الرجل يتعقبه حقا ، فلما وصل اليه بوير قال له رودلف :

ـ لقد تأخرت فى الخارج ياصاحبى والطقس الليلة كما ترى .

فأسرع بوير بالجواب :

ـ ان امرأ مسكينا ليس له بيت، لامناص من وجوده فى الشارع فى البكرة والعشى جميعا ياسيدى . وكان يتطلـع الى رودلف بتلك السحنة الوادعة الساذجة التى خدعتنى من قبل ، ولكننى كنت قد وصفته لرودلف وصفا دقيقا فلم يخطىء معرفتـــه ، وصـــاح :

ـ اليس لك بيت تأوى اليه ! كيف ذلك ! تعال معى وسأجد لك فراشا ، فاننى على وشـــك ان اجد مأوى لـكلينا .

ولم يدر بوير بماذا يجيب ، وسرحت عيناه فى عرض الشارع كأنه يفكر فى محاولة الفرار ، بيد أن رودلف لم يتح له الفرصة ، فقد وضع ذراعه فى ذراع بوير بصورة حبية وعبر به الشارع ، وكان الشاب السـويسرى غير مسلح ولم تساوره الرغبـة فى التعـرض لأذى الشرطـــة اذا اشتبك فى عراك ، يضاف الى هذا انه كان طفلا فى قبضة رودلف الحديدية الحازمة . وقال له رودلف :

ـ ما المعنى هذا الظلام ! قل لى يا صاحبى ، ألا تســتطيع أن تخبرنى أى هذه البيوت هو الذى يحمل رقم ١٩ ؟

وأحس بذراع بوير ترتعـــد لحظة ، فابتســم ، وقال بوير

ـ ر .. ر .. ١٩ يا ســيدى ؟

ـ اجل ١٩ . فهذا هو رقم البيت الذى سنتوجه اليـــه أنا وأنت ، وفى مرجوى أن نجد فيه طلبتنا .

ووصلا اليه سريعا ، وقدبات رودلف يجر بوير عنوة . ثم أمره رودلف قائلا :

ـ دق الجرس يا ولدى . فان يدى ليست فارغة !

والواقع ان يديه لم تكونا فارغتين : فاحداهما تقبض على ذراع بوير بشدة حتى انه لم يكن يستطيع ان يحركها ، اما اليد الاخرى فكان فيها مسدس حرص رودلف على ان يراه اسيره . واستطرد رودلف :

ـ ارايت ؟ لا مفر من ان تدق لى الجرس ، فان طلقة قد تزعج سكان البيت .

فزمجر بوير :

ـ ليس هنا جرس

ـ ليكن . اطرق اذن الباب ، واستوثق أولا يا ولدى من انك ستطرق الطرقة المتفق عليها .

واراه المسدس مرة اخرى ، فاذعن بوير وطرق الباب خمس مرات وببطء ، ففتح مزلاج الباب فورا من الداخل ثم انفرج قليلا بحذر .

فامسك رودلف بوير من قفاه بحركة مفاجئة والقى به بعنف فى عرض الطريق حيث وقع على وجهه فى الطين . وفى اللحظة نفسها هجم رودلف على البــاب وفتحه عنوة على مصراعيه ، فلما صار فى الداخل أوصده واغلقه بالمزلاج وصوب مسدســه الى الشخص الذى فتــح له وهــو يتوقع أن يكون روبرت هو ذلك الشخص ، أو ان يكون على الاقل ريشنهايم .

ولكن لم يكن أحدهما . ولم يكن كذلك المراة العجوز ، بل كانت قبالته فتاة شابة سمراء مليحة ، هى روزا ابنة الام هولف .

فلما سقط ضوء المصباح الذى كانت تحمله على وجه رودلف

صاحت فى دهشة يخالطها السرور وهمست :

ــ الملك ! ولكن ...

فتحسس رودلف ذقنه الحليقة الناعمة وقال باسما :

ــ أتقصدين اللحية ؟ أليس للملوك ان يحلقوا لحاهم اذا شاءوا كسائر الناس ؟ ولعلنى ايضا لم اكن مشوقا الى ان يعرفنى الناس لاول وهلة .

فبدا على الفتاة السرور لانها صارت شريكة الملك نفسه فى سره ، وقالت :

ــ ولكنى كنت حرية ان اعرفك يا صاحب الجلالة

ــ فهل تساعديننى اذن ؟

ــ حياتى يا مولاى .

ــ كلا كلا يا عزيزتى الشابة ، بل باستفهام تافه فحسب

ــ نعم يا صاحب الجلالة

ــ من الذى يقيم بهذا البيت ؟

ــ أمى فقط والكونت لتزاو ريشنهايم

ــ وماذا يصنع هنا ؟

ــ انه راقد فى فراشه يتوجع ويسب لان ذراعه الجريح يؤلمه

ــ وهل هناك احد سواه ؟

ــ كلا ليس هناك احد سواه الآن .

فقال رودلف :

ــ لقد كنت ابحث عن صديق لى أود رؤيته على انفراد ، فليس من اليسير على الملوك أن يقابلوا الناس على انفراد .

ــ اتعنى ...

ــ انت تعلمين من الذى اعنيه .

ــ نعم فهمت ، ولكنه ذهب ، ذهب ليلقاك .

ـ ليلقانى ؟ ياللشيطان ! وكيف عرفت ذلك يا حسنائى ؟
ـ بوير أخبرنى . لماذا تركته خارجا ومنعته من الدخول ؟
فضحك رودلف وقال :
ـ لكى اختلى بك طبعا !
فغضت الفتاة بصرها ، واستطرد رودلف :
ـ والى اين ذهب الكونت روبرت ليلقانى ؟
ـ قال لى بويز انه يتوقع ان يلقاك فى بيت الصيد .
ـ فهمت . ولكن الم يخبره ريشنهايم بشىء ؟
ـ تذكرت الآن . فان الكونت ريشنهايم استاء جدا عندما وجد ابن عمه روبرت قد ذهب قبل وصوله .
ـ وحق له ان يستاء . فقد كان ريشنهايم يحمل رسالة منى الى الكونت روبرت . والآن، متى تتوقعين ان يعود الكونت روبرت ؟
ـ فى الصباح الباكر ـ بين الساعة السابعة والثامنة يا صاحب الجلالة .
فاخرج راسندل قطعتين ذهبيتين وقدمهما لها قائلا :
ـ هل لك فى مساعدتى يا حلوة ؟
ـ لست اريد النقود . سأساعدك بدون مقابل
ـ ليكن . اخرقيهما واجعليهما فى خيط حول عنقك .
ـ اجل اجل . اعطنيهما اذن . ماذا تأمرنى به الآن ؟
ـ ان تتأهبى لفتح هذا الباب فى الساعة الحادية عشرة عندما أطرقه كما طرقه بوير . ولا تخبرى احدا بحضورى ، حتى ولا والدتك .
فقالت الفتاة وهى تمسك بيد رودلف فتقبلها :

ـ انى على استعداد للموت فى سبيلك . واحذر بوير فانه يعلم انك كنت هنا

ـ ان بوير يعلم فعلا . سننظر فى امره . واذا حضر فقولى انك لم تذكرى لى شيئا . هل فهمت ؟

ـ فهمت يا صاحب الجلالة ، وساكون على اتم استعداد

أمـــام الجـــميـــع

وكانت هذه الليلة الفريدة فى صمتها واقفارها وظلمتها تخطو نحو مختتمها بخطوات سراع . . فعما قريب سيدب الناس منتشرين فى الطـرقات ، فلا بد أن يستتر راسندل ، فان له وجها لايجسر على تعريضـــه لانظار الناس فى وضح النهار . .

ومع ذلك فقد كان أمامه فترة من الزمن قبل ان يطلع النهار ، فعزم على أن يكمن فى ظلال البيوت فى شارع الملك ليري ما اذا كان بوير سيعود ، حتى يمنعه من ذلك ان استطاع .

وكان المطـــر لاينفك منهمرا والبرد شـــديدا ؛ ولكن رودلف صمد فى مكانه لايتحرك ،ملتصقا بجدار بيت مجاور لرقم ١٩ ، وكانت زوجتـــى لاتزال فى هذا الوقت منتظرة يتنازعها الخوف والقلق فى الحجرة الامامـيـــة من بيتنا .

ولم يمض وقت طـويل حتى ظهـــرت ثلاثة اشباح لا واحد فتقدمت فى حـــذر ، وتسنى لرودلف عند اقترابها أن يتحقق من ان بوير احدها . ووقف بوير عند الرقم ١٩ ، ثم همس :

ـ هذا هو البيت ، وسأطرق الباب الآن ،فقفوا قريبا لتضربوه على رأسه اذا هو حاول الفرار . ان معـــه مسدسا فلا تضيعوا الوقت .

ولـمـا كان رودلف يعلـــم ان ريشنهايم فى البيت فقد خطر له فى الحال ان يحول بين بوير وبين الدخول ، ولم يوهن من عزمه ان الرجال كانوا ثلاثة ضده وحده ،فلم يكن رودلف يفكر فيمـا قد يصيبه من الخطـر ، فهجم على بوير وقبض على عنقه ، فأخذ بوير يضرب بسكين طـويلة لابدانه حصل غليها من رفاقه .

ولئن كان فى اطــــلاق النار مجـازفة لمـا يحـدثه ذلك من ضجة ، فان عدم اطـلاق النار معنـــاه الموت : فاطلق رودلف

الرصاص على بوير (فى المليان)، وكان بوير يصيح بالرجلين الاخرين ان ينقضا على راسندل ويصرعاه ، ثم حاول ان يقفز جانبا ولكنه لم يفلت وسقط على الارض وهو يئن .

وتردد الرجلان امام هذا الهجوم المفاجىء الفظيع ، ثم تقدم احدهما من راسندل ولكنه لم يلبث ان وقف مبهوتا وصاح :

ـ يا الهى ، انه الملك !

فقال رودلف وهو يظهر لهنفسه بوضوح تحت مصباح الشارع :

ـ لم تكن تتوقع هذا ، أليس كذلك ؟ اظن هذا الشخص قد استأجركما لعملية قتل بسيطة، ولم تدخل شخصيتى فى الحساب

ووقف الرجلان جامدين فاغرى الفم ، وارتفعت من بوير انة الم ، فان الاصابة كانت قاتلة ولكنه لم يمت لان القدر أصر على ابقائه حيا . وفى هذه اللحظة سمع حوافر جواد مقبل فقال أحد الرجلين :

ـ الشرطة !

ثم وليا الادبار فابتلعهما الظلام . اما رودلف فلم يكن بوسعه ان ينتظر فاندفع يعبر الشارع ثم توارى فى شارع جانبى .

ولما رأت دورية الشرطة ثلاثة رجال يعدون ورابعا ملقى على الارض اسرعوا الى بوير فوجدوه قد فقد وعيه ، فحمله أحد الجنود على جواده ليقله الى مركز الشرطة ، ونفخ الباقون فى صفاراتهم استجلابا النجدة . وسمع رودلف صفيرهم فأعار ذلك قدميه أجنحة تطيران بها ، فصار يجرى من شارع الى آخر غير معتمد فى اتجاهه الا على غريزته الفطرية ، فالملوك بطبيعة الحال لايعرفون عن الشوارع الخلفية فى عواصمهم الا القليل واسعفه حسن الطالع فهدته قدماه الى الميدان الكبير القريب من القصر

الملكي ، والذى لايبعد آكثر من عشر دقائق عن بيتي .

وكانت الساعة الآن قد جاوزت الخامسة ، وقد بدت طلائع النهار ، ودبت السابلة في الشوارع ، فاخذ رودلف يمشي على النحو الذى لا يلفت النظر ، ثم اقترب من بيتي بسرعة ، حتى كاد يصل الى بر الامان لولا ان نحس الطالع قد حل ، فقد وقفت غير بعيد من باب بيتي عربة نزلت منها سيدتان احداهما نصف والاخرى شابة ظاهرة الملاحة ، وعليهما ثياب مما يلبس للسهرة فقد كانتا ولا ريب عائدتين لتوهما من حفل راقص ، فلم تتح الفرصة لرودلف ان يتحاشى وقوع نظرهما عليه .

وقالت الشابة المليحة :

ـ اماه . هذا هو الملك !

وعرفهما رودلف على الفور ، فقد كان يعلم انها زوجة المستشار هلسنج وكريمته . وكان الفرار مستحيلا فمر بجانبهما وانحنى لهما كانحنائهما ، ثم لمس قبعته لخدمهما الذين وقفوا حاسرى الرؤوس . واتجه الى بابى وهو يلمن مغالاة الناس فى السهر التى اتاحت لهؤلاء ان يروه مبتل الثياب ملوثا بالطين متجولا فى شوارع استرلساو فى الوقت الذى يعلم فيه كل انسان ان الملك موجود فى زندا

ولم يكن ذلك كل ماهناك ، فان هلجا زوجتى العزيزة قد نفذت أوامر رودلف حرفيا فما ان رأته من النافذة حتى فتحتها واطلت بوجهها الجميل وهتفت بصوت هامس :

ـ كل شيء على مايرام !تعال !

فارتسم على وجوه زوجة هلسنج وكريمته وخدمه آيات الدهشة التامة لهذا المشهد الغريب ولم تبصرهم هلجا الا بعد ذلك بدقيقة وقد فات الاوان فتراجعت وهى تصرخ ، ولما وجد رودلف

نفســه قد عرف قرر ان يدخل من الباب ، ولكن الضرر قدوقع وانقضى الامر ، فقفز داخــلا من النافذة وهو يقول لنفســه :

ـ فلأمعن الآن فى التمثيل .

وكانت على وجهــه ضحكة مرحة وهو يجرى نحــو هلجــا التى كانت متكئــة على المــائدة شاحبة مضطربة ، فقال لها :

ـ انى مستعد لدفع أى ثمن كى اســمع الرواية التى ستلقى على مســـامع المستشار عندما توقظانه .

ثم عاد الى الجد فقال :

ـ يجب ان نقطع لسانى هاتين المراتين ، والا فكم تظنين سينقضى من الوقت قبل ان تعلم استرلساو باكملها ان زوجة فريتز تدخــل الملك من نافذتهـــا فى الساعة الخامسة صباحا ؟

ـ لم أفهم ماذا تعنى ؟

ـ يجب ان توقظى احد الخدم فى الحال فترسليــــه الى بيت المستشار يحمــل اليه أمر الملك ان يأتى فورا . ويستحسن ان تكتبى ورقة تقولين فيها ان الملك كان على موعــد مع فريتز ولكن فريتز لم يحضر ، وان الملك لابد ان يرى المستشار فى أمر عاجل فورا .

وكتبت هلجا الورقة وارسلتها الى بيت هلسنج . ولكننـــا فى الواقع تجاوزنا الحد فى التحرش بالقـــدر حين احضرنا رودلف راسندل الى استرلساو . ومع ذلك فمن الصعب ان يرى الانسان اى سبيــل آخر كان من الممكن ان يسلك قبل هذه الزيارة .

وكانت الفكرة ان يستحث المستشار على كتمان سر هــذه الزيارة ، نظير وعد باطلاعه على ظروفها فيما بعد . ومتى حصلنا على الخطاب ، ورحل راسنـــدل عن روريتانيا ، صار فى الوسع قول اى شىء للمستشار عن هذا الموضوع . وكان هلسنج رجــلا

شهما ، اهلا للثقة ، وكان عيب هذه الفكرة الوحيد أن رودلف وهلجا لم يكونا عالمين بما وقع فى بيت الصيد .

وكان المستشار قد شددعلى أهل بيته الا يبوحوا بشيء عما رأوه ، ثم وصل الى بيتى قبل الساعة السادسة، مشوقا بطبيعة الحال الى معرفة ماذا كان يصنع الملك متجولا وحده بلا لحية وقافزا من نافذة صديق له فى استرلساو ،فى حين كان المفروض انه موجود فى زندا .

وقابله رودلف فانتحى به ركنا مظلما من الغرفة ، ومازلت لا أخفى الابتسام كلما تصورت راسندل(واقسم انه تلذذ بالموقف) وهو يحكى لهلسنج الشيخ رواية طويلة ويعده ان يطلعه على المزيد فى اليوم التالى ثقة منه باخلاصه وحكمته ، ولكى يستوثق من هلسنج ابقاه مدة طويلة يتحدث معه ، فسر المستشار سرورا عظيما بهذه الثقة ، واكد للملك ولاءه الابدى وتعهده بألا يقول احد من أهل بيته حرفا عن الموضوع .

وللأسف كان لهذا الحديث الطويل نتيجة هى تورط رودلف فى مأزق أخطر وأعوص . وقد بدأ الامر على الوجه التالى :

حين كانت هذه الامور تجرى فى بيتى كانت الملكة وبرننشتاين يقتربان بسرعة من استرلساو ، ولو أن سابت كان معها لتسنى له أن يمنعها من القيام برحلتها المفاجئة غير المتوقعة ، ولكن برننشتاين لم تكن له مثل هذه الهيبة فلم يسعه الا اطاعة أوامر الملكة والاستجابة لتوسلاتها الباكية .

وكانت رباطة الجاش التى تمتعت بها الملكة منذ فارقها راسندل قبل ثلاث سنوات قد تداعت ، ذلك ان قدومه المفاجيء الى زندا والاحداث المثيرة التى تلت ذلك ، والخطر الذى احاق به وبها ، وكلماته اليها وسرورها بمشاهدته ، قد تكالبت هذه

كلها فسببت ذلك الانهيارالعصبى. ثم ان حلمهــا الغريب لم يدع لديها سوى الرغبة فى القرب من راسندل ، والخشية على سلامته.

ووصلت الملكة مع برننشتاين الى القصر فى الثامنــة صباحا ، فتناولت القهوة ثم امرت باعدادعربتها فاستقلتها معه فى نحــو الساعةالتاسعة ، وكان برننشتاين فى هذا الوقت لايكاد يقل عن الملكة نفسها توتر أعصاب . فما كادت العربة تصل الى بابى حتى قفز منهــا ومد يده الى الملكة التى انحنت انحناءة خفيفــة للسابلة الذين تجمعــوا حين راوا العربةالملكية ، ثم دقت الجرس بنفسها.

وكانت هلجا راقدة فى فراشهاالتماسا لشىء من الراحة بناءعلى رجاء من رودلف ، فلم يتســع الوقت لتحــذير الملكة . وفتح الخادم الباب ، فلما أسرعت هلجا تهبط الدرج شهدت الملكة وهى تدخل الحجرة التى كان يتحدث فيها رودلف الى هلسنج . وكانا قد سمعا صوت عجلات العربة، ولكن لم يفكر احدهما فى ان يكون الزائر هو الملكة فكانت المفاجاةغير متوقعة اطلاقا حينمــا فتح الباب عليهما بغير اذنهما .

وكان المستشار رجــلا بطىءالحركة غير متوقد الذهن ، فظل جالســا نصف دقيقة أو اكثر قبل ان يثوب الى نفسه فينهض على قدميــه . اما رودلف راسندل فاجتاز الغرفة فى لمحة . وكانت هلجا قد صارت فى هذه اللحظةعند الباب فرات ماحدث .

ونسيت الملكة وجود الخدم ،ولم تلاحظ وجــود هلسنج ــ فهى لم تكن تفكر فى اى شىء أواى انسان ماخـــلا الرجل الذى تحبه ــ فاسرعت نحــو رودلف الذى جرى نحوها وامسكت يديه كلتيهما بيديها وصاحت :

ــ رودلف . انت بخير ! الحمدلله . الحمد لله !

وتلت ذلك لحظــة صمت ،مرجعها عند الخدم الى التادب ،

وعند المستشار الى الولاء ،وعندهلجا وبرنشتاين الى دهشتهما الكاملة . واذهل الصمت الملكةفنظرت الىرودلف متعجبة ،لانه هو ايضا لم يقل شيئا ، ثم تلفتت حولها فرأت هلسنج منحنيا في مكانه ، وخدمي وقوفا عند الباب ، فأدركت ما أقدمت عليه ، وشحب وجهها ، وكادت تسقط لولا ان رودلف احاطها بذراعيه ونظر اليها باسما فى حب شديد واشفاق ، ثم همس قائلا:

— كل شيء على مايرام يا اعز الناس .

وخاطبت زوجتي برنشتاين بعينيها فأدرك انه يجب ان يخف الى نجدة راسندل ، فبادر بالركوع على ركبة واحدة ثم قبل يد رودلف ، فقال له رودلف :

— انى مسرور برؤياك ياملازم برنشتاين .

ونجحت اللعبة وقتيا ،وفاتت الازمة وظل السر مصونا . وان كانت المجازفة خطيرة ! ذلك انه كان من الجائز ان يقال المستشار ان شخصا مثل راسندل موجود وانه قام مقام الملك يوما ما . ولكن يبقى بعد ذلك شيء يجب ان يكتم بأى ثمن ، وذلك الشيء هو الذى اوشكت الملكة بكلماتها ولهجتها ان تفضحه على الملأ ، فان الملكة تحب رودلف لا الملك ، وان رودلف يحبها . وهذا مالم يكن يتبقى ان يطلع عليه احد ، وان راسندل كان مستعدا ولا شك لأن يواجه أعظم المتاعب فى المستقبل بشرط الا يخاطر فى الحاضر بافتضاح ذلك السر .

ولكن خطرا جديدا كان يظهر فى كل لحظة ، فطلب رودلف من المستشار ان يعود اليه فيما بعد من ذلك النهار ، ثم صرف الجميع ماعدا هلجا وبرنشتاين ، وكان راسندل منزعجا جدا لعدم وصول اى انباء من الكولونيل سابت ومنى ، وزادت مخاوفه بمجرد علمه ان الملك نفسه كان فى بيت الصيد فى الليلة الماضية .

والواقع انه كان يخبـــط فى ظلام دامس ، فهـو لايعرف أين كان الملك ، ولا اين كان روبرت، ولا اين كنا انا وســـابت ، فهو هناك فى استرلساو ، وقد عرف فيه الناس الملك ، ولايحمى سره من الافتضـــاح الا وعود من عرفوه ، فهو مهدد فى أى لحظة بحضور الملك نفسه ، او بمجرد وصول رسالة من لدنه .

وفى هذه اللحظة وصلت اليه البرقية التى بعثتها من محطة هوفباو . وكانت باسم هلجا ففتحتهـــا ثم قراتها بصوت عال :

« قادم الى استرلساو ، الملك لايبرح بيت الصيـــد اليوم . الكونت حضر ولكنه انصرف قبل وصولنـــا ، لا ادرى ان كان قد ذهب الى استرلســـاو . لم يبح بشىء للملك »

فصاح برننشتاين فى حسرة :

ـ الم يظفر به اذن ؟

فقال رودلف فى لهجة المستريح الى ماوصل اليه :

ـ كلا ولكنه « لم يبح بشىء للملك » والملك لايبرح بيت الصيد اليوم . الحمــد لله ، امامنا اذن فرصة اليوم .

فسال برننشتاين :

ـ ولكن اين روبرت ؟

فاجابه رودلف :

ـ ساعرف بعد ساعة اذا كان فى استرلســـاو أولا . وســـوف لا أقصر فى شىء حتى أعثر عليه . فأمامنا اليوم فقط .

ثم التفت الى الملكة وقال :

ـ تشجعى يامليكتى ، فان هى الا بضع ســـاعات حتى ينجاب الخطر .

فسألته قائلة :

ـ وبعدها ؟

ـ ستكونين فى أمان الله ، واما أنا .. فسأمضى .

ملك تحت الطلب

كانت الفتاة الحسناء التي تقطن المنزل رقم ١٩ بشارع الملك ، تنظف الدرج امام الباب . وكانت والدتها تشكو غاضبة لان بوير لم يعد . ولم يكن من المنظور حضوره عن قريب لانه كان لا يزال في مستشفى الشرطة تحت رعاية الطبيب .

وسألت الام هولف العجوز ابنتها :

ــ هل أنت واثقة من انه لم يرجع قط ياروزا . . .

فقالت روزا :

ــ لم اره عاد .. وقد قضيت الليل ارقب من هنا حضوره بجوار مصباحي حتى مطلع النهار ..

ــ ان الكونت روبرت ينتظر ان يصل حالا ، فما اشد استياءه اذا لم يجد بوير هنا ..

ولم تجب الفتاة ، فقد اتمت عملها وظلت واقفة بالباب تنظر الى الناس والعربات في غدوهم ورواحهم امام ناظريها . ولكنها كانت في الواقع مشغولة الخاطر بذلك الشخص الذي طلب منها ان تكون معه على عدوه ، فقد سمعت الطلق الناري ، فأطفأت مصباحها ، ثم تلت ذلك اصوات اقدام تعود مولية . . ثم وصل الشرطة . .

ولم تكن تدري ، ولا يعنيها أن تدري ،ما وقع لبوير . أفيلس من اعداء الملك ؟ ما كان أروع الملك حين قبض على عنقه وألقاه بعيدا ! وأضحكها التفكير في مبلغ جهل امها بما حدث تلك الليلة . .

وكانت عربات الفلاحين تمر بها بطيئة ، تحمل الزاد للعاصمة . ووقفت عربتان أو ثلاث وعرض أصحابها ما تحمل من فاكهة ، ولكن السيدة العجوز ردتهم ردا غليظا لانها كانت غاضبة .. ثم وقفت عربة رابعة بالباب ، فصاحت الام هولف :

ــ لسنا نريد شيئا .. انصرف .. امض لشانك ..

ولكن سائق العربة نزل من مقعده دون ان يعيرها ادنى التفات ، ثم استدار الى خلف العربة وصاح فى مرح :

ــ هاك يا سيدى .. هذا هو رقم ١٩ .

فاجابه صوت ظهرت فيه آثار النعاس من داخل العربة :

ــ عظيم ! ..

ثم اطل روبرت هنتزو براسه ، فاجال بصره فى الطريق الواسع ، ثم نقد السائق جانبا من المال ، وقفز من العربة ، فعبر الشارع الى البيت ، وانصرفت العربة ..

وقال روبرت ضاحكا ضحكته المرحة :

ــ من محاسن المصادفات أننى صادفت هذا السائق ، فقد نفعتنى العربة واجدت على انا فتى ايضا . اليس كذلك يا روزا ؟ .. ليس فى وسعى ان امتع استرلساو بمرآى وجهى الآن .. هل كل شىء على مايرام يا اماه ؟ .. وانت يافاتنتى ؟..

فقالت العجوز :

ــ كل شىء كما غادرتنا يا كونت روبرت . ماعدا تخلف الوغد بوير عن الحضور حتى الآن ...

ــ وهل لم تبد بادرة .. من اى احد آخر ؟

فهزت العجوز راسها ، فى حين اشاحت ابنتها بوجهها كى تخفى ابتسامتها .

ــ ولكن ريشنهايم عاد . اليس كذلك ؟

ــ اجل . طبعا عاد يامولاى ، بعد رحيلك مباشرة ، وكانت ذراعه مصابة أومشدودة الى عنقه

فصاح روبرت :

ــ آه ! لقد حدث ماتوقعت . بالشيطان ! لو استطعت ..

بكل شيء بنفسي شخصيا ، ولما اعتمدت على اولئك المغفلين ! واين هو ؟

ـ فى الطابق العلوى .. انت تعرف الطريق .

ـ اجل . ولكنى اريد شيئا افطر به .

ـ ستحمل روزا الطعام الى هناك فورا يا مولاى .

ولحقت الفتاة بروبرت صاعدة ثلاثة طوابق كلها خالية من الاثاث والسكان . وفتح روبرت باب الطابق الرابع ، ودخل وروزا فى أثره تغالب الابتسام .. ثم دخل حجرة ضيقة تحت السقف المثلث (الجمالون) مباشرة . وكانت فى الحجرة مائدة وبضعة مقاعد وفراشان . . وقد رقد ريشنهايم على احدهما كامل الثياب ، معصوب الذراع اليمنى . فقفز من الفراش وأسرع يجرى نحو روبرت . ودخلت الفتاة وبدأت تصف الصحاف والاكواب وما الى ذلك من أدوات المائدة . .

وصاح ريشنهايم فى لهفة :

ـ ماوراءك ؟ هل افلت منهم يا روبرت ؟

فقال روبرت فى مرح ، وهو يتجه الى مقعد فيرتمى فوقه :

ـ يبدو هذا . . يبدو اننى افلت .. وان كانت حماقة « بعضهم » كادت توردنى حتفى . . .

فتضرج وجه ريشنهايم وقال وهو ينظر نحو الفتاة التى كانت متشاغلة بوضع اللحم البارد وزجاجة النبيذ فوق المائدة ، فى تلكؤ مقصود :

ـ سأتحدث اليك عن هذا فيما بعد . .

فقال لها روبرت باسما :

ـ لو لم يكن لدى ما يشغلنى عن التطلع الى الوجوه الملاح ، لتوسلت اليك ان تبقى معنا ..

فأجابت فى زراية وهى تتجه نحو الباب :

ــ ليست بى رغبة فى الاستماع الى امر لا يعنينى ..

واقفل روبرت الباب وراءها، ثم روى ريشنهايم لابن عمه روبرت ما حدث له فى حصن زندا .. فلما جرى على لسانه ذكر راسندل ، تطلع اليه روبرت فجاة ، ولكنه لم يقل شيئا الى ان انتهى ريشنهايم من كلامه .. فقال له روبرت حينئذ :

ــ عظيم ! لقد كان الكمين محكما ، فلا عجب ان تقع فيه .

فسأله ريشنهايم متلهفا :

ــ وانت ؟ ماذا حدث لك ؟

ــ اما انا فذهبت الى بيت الصيد كما طلبت منى او بعبارة اصح كما لم تطلب منى ! ..

ــ وهل وجدت سابت هناك ؟

ــ لم اجد لسابت اثرا . . وانما وجدت كلب صيد الملك ، وحطاب الملك ، و . . ووجدت الملك نفسه !

فصاح ريشنهايم وهو يختلج:

ــ اذن قد اعطيته الخطاب ؟

ــ كلا . ويؤسفنى ان اقول اننا لم نبلغ فى محادثتنا المرحلة التى كنت اود ان ابرز فيها الخطاب .. فرميت اليه الصندوق ، ولكنى لا اظن ان الوقت قد انفسح له كى يفتحه ..

ــ ولكن لم لا ؟ لم لا ؟

ــ الم تلاحظ يا ابن عمى ان سترتى ممزقة ؟ اعلم اذن ان كلب الصيد حاول ان يعضنى ، وان الحطاب حاول ان يضربنى بالحربة ، و . . وان الملك اراد ان يصيدنى بالرصاص . .

ــ ولكن بحق الله ، ماذا حدث ؟

ــ لم يفلح احد منهم فيما رمى اليه .. وهذا هو ما حدث !

وكان ريشنهايم يحدق في روبرت بعينين ملأتهما الدهشة فابتسم روبرت وقال :

ـ اعلم يابن العم ان الكلب لن يعض بعد اليوم ، وان الحطاب لن يقذف احدا بحربته بعد اليوم . . وان الملك لن يصيد بعد اليوم . . .

فتهاوى ريشنهايم على سريره وصاح :

ـ ياالهي ! ياالهي !

فقال روبرت :

ـ لقد كان الملك أحمق . . اسمع . سأقص عليك كل شيء

وكان ريشنهايم شارد الذهن اثناء القصة ، وقد ساوره الآن الندم على تورطه فيهذه المسألة اصلا .. ثم هتف بروبرت قائلا :

ـ يجب ان نهرب يا روبرت . . .

ـ اجل ، أحسب الفرار ضروريا . . .

فعقب ريشنهايم معلنا انسحابه من هذا الموضوع وما يتصل به بعد الآن .. فقال روبرت :

ـ ما اسرع مايدب اليأس الى قلبك يابن العم ! فلئن فارقنا الملك ماسوفاعليه ، فالملكة المحبوبة لا تزال امامنا .. وتحت يدنا كذلك بحمد الله خطاب جلالتها الثمين .. •

فعاد ريشنهايم الى التملص قائلا :

ـ لم يكن لي في هذا كله يد . . ولن أتدخل فيه بعد الآن ، واذا كنت في حاجة الى المال اعطيتك مالا .. ولكن دعني بالله بعيدا عن هذا كله ..

ثم مشى الرجل التعس الى النافذة ففتحها ، وتبعه اليها روبرت فاطل منها ثم قال :

ــ انظر يا ريشنهايم ، اترى شيئا غير مالوف ؟
ــ كلا .
ــ ولا انا ! وهــذا هو وجه العجب . . اترى هــذه الراية الملكية التى تخفق فوق القصر ؟ لا بد ان سابت او سواه قــد ذهب الى بيت الصيد ليلة امس . .
فقال ريشنهايم وقد ثار انتباهه فجاة :
ــ لقد انتووا هذا ، واقسم على ذلك . .
ــ فلا بد اذن انهم وجدوا الملك . . وفى محطة هوفباو التى لا تبعد عن بيت الصيد الا بضعة اميال مكتب للبرق ، والســاعة الآن العاشرة صباحا ، فكيف لم تعرف « استرلساو » نبأ وفاة الملك حتى الآن ؟ ولماذا لم تنكس الراية الملكية فوق قصر الملك ؟
ــ لا ادرى . . .
فاستطرد روبرت باسما . .
ــ ليت شعرى هل لدى ذلك الوغد الخبيث سابت ملك آخر تحت الطلب يخرجه لنا من كمه كما فعل مرة من قبل ؟ . . قد يكون ذلك . . ولكن اين هذا المغفل بوير ؟ لقد كان عينى التى بها ارى . . فكيف يتسنى لنا ان نعرف شيئا ونحن محبوسان بين هذه الجدران الاربعة ؟ . لا بد لى من معرفة ما يصنعون ياريشنهايم . . يجب أن تذهب فتطلب مقابلة الملك . .
ــ ولكن الملك . .
ــ اننا نعــرف ذلك ، ولكننا ســنعرف المزيد حــين تطلب مقابلته . فاذا لم يكونوا عازمين على اخفاء نبأ مقتل الملك ، كان على ان اذهب . وفى وسعى أن استغل الخطاب وانا فى الخارج . . اما اذا وجدت انه لا يزال فى « استرلساو » ملك . . .
وكان وجه ريشنهايم قد فاض الآن بالاهتمام والتشوق . . فاستطرد روبرت :

ـ فاذا لم يجيبوني الى مطالبي، فليس هنـــــاك مايمنعني من اذاعة نبأ مقتل الملك في طول روريتانيا وعرضهـا . فمنــذا الذي يستطيع ان يقطع أن أحدنا ـ انا او سابت ـ كان السابق في الذهاب الى بيت الصيد ؟ واينا صاحب المصلحة في قتله : اهو انا وما كنت اريد شـيئا سوى اطلاعه على امر يمس شرفه من قريب ، او هو سابت صـديق الرجل الذي يختلس الآن اسم الملك ، ويخـدع في امره الدولة قاطبة ؟ . . .

ـ سأفعل اى شيء فيه عون لك يا روبرت ..

ـ عظيم .. ولا تخش شيئا، فانهم لن يؤذوك . وغاية ما في الامر أنهم قد يبقونك أسير الديهم وقتا ما .. فاذا لم تعد في ظرف ساعتين ،كان ذلك كافيا لان أعرف ان في استرلساو ملكا حيا ..

ـ وهل ستنتظرني هنا ؟

ـ اجل . . وبهذه المناسبة: هات لي شيئا من المـال ، فلا ضير بتاتا في انتفـــاخ الجيوب بالمال . . .

وبينما كان ريشنهايم خارجا من الغرفة ، وجد الفتاة تكنس السلالم .. فسألته :

ـ هل سيخرج الكونت روبرت ايضا ؟

ـ كلا .. بل سينتظرني هنا .. ولكن ما شأنك انت بهذا ؟ تنحى عن طريقي ..

وقرر ريشنهايم ان يتوجه الى القصر اولا ، لولا انه قـابل صديقا كان متوجهـا الى بيتي للزيارة ، فغير الكونت ريشنهايم رأيه ؛ لكي يعـرف خبر وجود الملك من عندي .. فلما وصلت العربة الى بيتي ، كان المستشار هلسنج يهم بمغادرته ..

فسأله ريشنهايم :

ـ ما كل هذا الزحام ؟ آه ! هذه عربة ملكية واقفة هنا . .

هذا من توفيق الله ، فقد كنت انوى مقابلة الملك ..

فقال المستشار :

ـ انها عربة الملكة .. وقد كنت انا مع الملك ، ولكنى لااظنه راغبا فى هذه الساعة ان ..

فقال ريشنهايم ..

ـ انها مسألة عاجلة ..

فقال هلسنج محاولا تغيير مجرى الحديث :

ـ أرى ذراعك مربوطة ..

فأجابه ريشنهايم ، وهو يهم بدخول البيت :

ـ لهذا ايضا صلة بالمسألة التى ساقابل من اجلها الملك .

فلما دخل ريشنهايم وجد امام باب حجرة الجلوس جمعا صغيرا من الناس ، فيهم برننشتاين .. فقال ريشنهايم :

ـ اريد مقابلة الملك ..

ـ ثانية ؟ هل كانت مقابلتك الاخيرة معه ممتعة ومشجعة الى هذا الحد ؟

فقال ريشنهايم :

ـ هناك عقبات عجيبة تجعل مقابلة ملكنا الصالح من أعسر الامور ، وهذا المستشار قد صرح لى بأنه غير راغب فى مقابلة احد ..

فقال برننشتاين :

ـ ربما كان الملك غير راغب فى ان يزعجه الآن احد بالمقابلة .. فهل تسمح بالابتعاد عن الباب ...

وفى هذه اللحظة فتح الباب وسمع صوت الملك يقول :

ـ أهذا هو الكونت لتزاو ريشنهايم ؟ ان كان هو ، فليدخل فانه ما كان ينبغى بأى ثمن ان يتاح لريشنهايم الرجوع كى

يحذر روبرت .. فابتسم برنتشتاين ابتسامة ذات مغزى ودفع ريشنهايم الى الامام .. فلما هم ريشنهايم بالنكوص قال له الضابط الشاب :

ــ ماذا ؟ ألم تكن تريد مقابلة الملك ؟ ادخل اذن ..

ودخلا معا ، فبادر راسندل فى الحال باخذ ريشنهايم من ذراعه فاقتاده الى حجرة خلفية صغيرة خلال باب آخر مفض الى دهليز . . واغلق برنتشتاين عليهما ذلك الباب ..

وقال رودلف :

ــ اظنك يا سيدى قد جئت لتستوثق من شيء . . فهل تأكدت الآن من ذلك الشيء ؟

وواتت ريشنهايم الشجاعة على ان يجيبه قائلا :

ــ اجل . فقد عرفت الآن اننى اتعامل مع غشاش!

ــ تماما ! وما من غشاش يرضى ان يغامر باطلاع الملأ على حقيقته ، أو خبيئته .

واكفهر وجه ريشنهايم ، فقد كان رودلف يواجهه ، وكان برنتشتاين يحرس الباب،وبذلك اصبح تحت رحمتهما .

واستطرد راسندل :

ــ لا ادرى ياسيدى ما الذى حشرك فى هذا الامر . وان كنت اعلم بواعث روبرت ودوافعه .. ولكن يدهشنى ان ترى فى دوافعه تلك ما يغريك بمؤازرته ، مع ان نجاح روبرت معناه القضاء على سيدة تعسة ، هى ملكتك . ولتثق اننى اؤثر ان اموت ، واقتلكما أيضا ، قبل أن أسمع بوصول هذا الخطاب الى يد الملك ..

فحدق فيه ريشنهايم ، لان ذلك دله على ان النبأ الذى جاءه به روبرت من زندا لم يصل الى الاسماع بعد فى دوائر القصر

باسترلساو . . ولكنه لم يقل شيئا .. فتركه رودلف اسيرا تحت حراسة برنتشتاين ..

وفى هذه اللحظة عدت انا الى بيتى ، فلما بصرت بالزحام الحاشد أمامه ، أيقنت ان الموقف قد صار الى اسوأ مما كنت اتوقع .. فان من حسبوا ان راسندل هو الملك لم يكونوا واحدا او اثنين فقط ، بل هؤلاء الناس جميعا قد ظنوا ذلك ، بل تاكدوا ان الملك والملكة فى بيتى .. فاسرعت اصعد الدرج ، وقد طرق سمعى قول بعضهم وهو يضحك :

ـ انه على عجل من امره طبعا ، فقد أبقى الملك فى انتظاره طويلا وسيصلاها حامية ولاشك !!..

ولمحت هلجا فى النافذة كما لمحتنى ، فاسرعت الى لقائى ، فسألتها همسا :

ـ ياالهى ! اهؤلاء جميعا يظنونه الملك ؟

فقالت :

ـ اجل . . فاننا لم نستطع تلافى ما حدث ..

فسألتها فى قنوط :

ـ واين هو ؟ اين هو ؟

ثم اسرعت اتبعها الى حيث كان ، فاذا رودلف والملكة ينظران نحوى فى تطلع .. ثم سأل راسندل :

ـ اكل شىء على ما يرام ؟

فصحت به :

ـ ولكن جميع الناس هنا يحسبون انك الملك ..

ـ اجل يا فريتز . . ولكن لا داعى لهذا الفزع . . فساحصل على الخطاب واختفى فى هذه الليلة .. ويجب ان تكتموا عن الملك جميع ما يتعلق بهذه الزيارة .

وكان شعورى ظاهرا على وجهى حين قلت حينئذ :
ــ لن يرى الملك الخطاب بعد الآن . .
فقال رودلف :
ــ ماذا تعنى ؟ ولم لا ؟
ــ لقد كفانا روبرت هذا . . فلن يقرأ الملك الخطاب . .
وكانت الملكة تحـــدق فى وشفتاها منفرجتان ، وفى عينيها بريق عجيب . . واعتقـد انها حدست جانبا من الحقيقة . .
وأردفت أخيراً :
ــ انه لن يرى الخطاب . . فقد مات !

الى عرش الملك

من اليسير ان يتصور المرء اثر هذا النبأ فى الاشخاص الثلاثة الذين سمعوه من فمى : اما هلجا فقد صرخت صرخة خافتة ، واما الملكة فاستمرت فى تحديقها فى وجهى ، واما رودلف فلم تبدر منه كلمة او حركة . وطفقت انا اخبرهم بما جرى ، فلما انتهيت سال رودلف :

ــ ومتى كان ذلك ؟

ــ ليلة امس

ــ وجثة الملك ؟

ــ فى بيت الصيد ومعها سابت وجيمس .

فقال رودلف وقد اطبق شفتيه اطباقة العزم :

ــ يجب ان اذهب من فورى فاقتل روبرت . اما الباقى فسنتحدث عنه فيما بعد .

واجتاز الغرفة فدق الجرس ، وامر الخادم الذى لبى النداء :

ــ أخل البيت من جميع من فيه من الغرباء ، ثم أحضر لى عربة مقفلة واياك ان تتاخر اكثر من عشر دقائق .

فقالت الملكة فليفيا :

ــ رودلف ، انك ستاتى لرؤيتى قبل ان .. تمضى ، اليس كذلك ؟

ــ اجل يامليكتى .

وان هى الا بضع دقائق حتى كان قد ذهب ، وتركنا وحدنا لوساوسنا .. وكنت انا على بينة مما يدور براسى ، ومما يدور براس برنتشتاين ايضا لاننا اطلعناه على الخبر .. وكان راينا المشترك ان يحل رودلف محل الملك فيحكم روريتانيا . اما مايدور براس الملكة فلم يكن لى به علم . واكاد اجزم ان آمالها

كانت معلقة بالزيارة التى وعدبهارودلف ، ولم تكن تفكر فيماوراء ذلك .

وقررنا ان نتوجه الى القصرفى صحبة الملكة ، بيد انها طلبت ان ترى ريشنهايم قبل ان تذهب ،فجاء بادى الخزى . وكانت هى من اللطف والرقـة بحيث كفت بضع دقائق من الحديث بينهما لـكسبه الى صفها نهائيا ،فصاح صيحة تنم عن شقوته :

ـ لست انا المسئـول . فقدأثر فى روبرت ' وانى يامولاتى لاعدك وعد الشرف ..

فقاطعته انا قائلا :

ـ مولاتى ! ان كلمـة الشرفعنده لا ..

فقالت الملكة بلهجتها الرسمية وهى تخـاطبنى بلقب اللوردية مظهرة عـدم رضاها عنى ، لأتهاوفى الغالب تنـادينى باسم فريتز مجردا ، قالت :

ـ اعلم يالورد ان وعد الكونت فيه الكفـــاية عندى . فلسنا نطالبه بالقيام بأى شىء يضير ابن عمه روبرت ، وانمـا نحن نطلب منه السكوت وكفى ، كمـا نطلب منه الصفح ايضا .

فصاح ريشنهايم :

ـ اتعهد ان اخدم الملكة من كل وجه .

وفى طريقنـا الى القصر رأيت خواطرى الخاصة تتراءى فى عينى برنشتاين ، الذى همس قائلا :

ـ لم يبق اذن الا بوير ، آه لو استطعنا اغلاق فمه !

ولم يطل مقامنا بالقصر حتى ثقل على الانتظار ، فسألت الملكة ان كانت بحاجة الي ..

فقالت :

ـ وأين تريد أن تذهب يافريتز ؟
ـ الى شارع الملك .
فراعنى انها ابتسمت وقالت :
ـ ليباركك الله يافريتز ! أنى لم أرد مفاتحتك ، ولكن الانتظار ثقل على ، فامض لتأتينــى بنبأعنه ، فانه يخيل الى ان حلمى البشع قد عاد يتراءى لعينى .
فنظرت الى هلجا التى جلست دامعة العين مكفهرة بجانب الملكة، فقالت لى بشجاعة :
ـ اذهب ياعــزيزى فريتز مادام قد طلب اليك .
فتركتهمـــا معا وأنا أضمــر الاعجاب بالصبر الذى يتيح النساء الجلوس والانتظـــار ، وارتديت ملابس مدنيــة عادية ثم وضعت مسدسى فى جيبى ومضيت .
وكان الوقت قد جاوز منتصف النهـــار ، فكثير من الناس مشغولون بطعــامهم ، والشوارع غير مكتظة .. فلم يكن على مقربة المنزل رقم ١٩ الا ثلاثة يتسكعون أو اربعة . ولــكن كلمـــا مر بهم أحـــد تحـــدثوا اليـــه ، فلم يلبث ان احتشد جمع صغير شيئا فشيئا ، ثم زاد ذلك الجمع حتى اربى عدده على مائتين من النـــاس ، وشعرت بلمسة على كتفى فالتفت فاذا برنشتـــاين وفى صحبته ريشنهايم .
وكان رقم ١٩ نفســه لاينم على حياة ، فالنوافذ مغلقة ، والستائر مســـدلة ، فتصفحت الجمع ، فاكتشفت على حين غرة بوير فى الجانب الآخـــر ، وكان راسه معصوبا ، وقد وقف فيمايلوح ، يراقب المنزل مثلى ، فدرت حتى بلغته وأصبته بصـــدمة شديدة حين وضعت يدى على كتفـــه وقلت له :
ـ هاقد التقينا ثانية يابوير ، فأين حقيبتى ؟

وقبـــل ان يتمكن من الجواب ــ بفرض مقدرته على الجواب ــ استرعى انتباهى صـــوت صادرمن البيت . وكان صوت امرأة عجوز غاضبــــة ، ثم تلاه صوت فتاة حديثة السن ، فتركت بوير وشققت طريقى وســـط الزحام واذا برنتشتـــــاين وريشنهايم يفعلان فعلى . واتجه ثلاثتنا الى الباب معا ، وفى اللحظة نفسهـــا خرجت منه فتاة تعدو . وكان شعرها مشعثا ووجههـــا مكفهرا وعيناهــــا يطفر منهما الدمع ، فوقفت فى مواجهة الجمهـــــور لحظة ، ثم صرخت فى صوت قوى واضـــح ، بيد انه يرتعش خوفا وفزعا :

ــ النجـــدة النجـــدة ! الملك الملك !

***

عند ماسمعت عجـلات عربة راسنـــــدل قرب البيت ، كانت روزا فى المطبخ تســـاعد امها فى الطهو .. فالموعد الذى ضربه لها الملك كى تستعد لفتح الباب له قد فات .. وهى منتظرة علامتــــه فى قلق .. ووقفت العربة ، ثم استأنفت ســـيرها .. وسمع الطرق على البـــــاب ، فقالت العجوز :

ــ هذا هـــو الوغد بوير قد جاء اخـــيرا .. افتحى له الباب ياروزا .

وقبــل ان تتم كلامها ، كانت روزا قد اجتازت الدهليز لتفتح الباب .. ثم اغلقتـــه بعد دخول رودلف .. واقبلت العجـــوز تسأل بحدة :

ــ من هذا ؟

فضحكت الفتاة وقالت :

ــ وى ياماه ! انه الملك !

فقال رودلف :

ـ أجل . فاذا كان الملك حيافانا هو .. وقد حضرت لمقابلة الكونت هنتزو .. فخذيني اليهحالا ..

فاعترضت الام هولف العجوزطريقه وقالتويداها فيخاصرتها:

ـ لن يرى الكونت احد .. فهو ليس هنا .

فضحك رودلف وقال :

ـ حتى الملك لايستطيع انيراه ؟ هيا خبريني اين هو ؟

فهمست الفتاة :

ـ انه في الطابق الاعلى منالمنزل ياسيدى .

فكان هذا حسب راسندل ،فنحى العجوز جانبا وصعد الدرج ، فعادت الام هولفغاضبة الي المطبخ ، وتسللت روزا في صمت وراء رودلف . فرأتهيفتح البابواحدى يديه في جيب سترته .

وكان روبرت في الانتظار ، فلميظهر دهشة لقدوم رودلف ، بل قال ضاحكا :

ـ آه . هذا هو الممثل !

وكانت يده هو أيضا كيدرودلف في جيب السترة .

وقد اعترف راسندل بانه كانيستاء دائما من اطلاق روبرت نعت الممثل عليه . ولكن ذلككانفيما مضى ، اما الآن فقد اكسبته السن رزانة فلم تعد تحركه هذهالتوافه ، فأجاب باسما :

ـ نعم هو الممثل ، ولكن دورهفي هذه المرة اقصر من سابقه .

ـ وما دورهاليوم ؟ اليس هوالدور القديم ، دور الملك الذى يضع على مفرقهتاجا منالورق ؟ما أعظم ما اثرنا به في حياة روريتانيا ؟ فقد ظفرت انت بتاجمن الورق ، واكسبت انا الملك الاخر تاجا من السماء ! الم يبلغكهذا ؟

ـ علمت بما صنعت .

ـ الواقع انه صنع الكلب وليس صنعى ، والآن ماطلبتك ياحضرة الممثل ؟

ولم تستطع روزا التى كانت تنصت فى الخارج ، ان تدرك مغزى استخدام هذه الكلمة ، اوموضوع الحديث عموما .

وسأل رودلف روبرت :

ـ لماذا لاتدعونى الملك ؟

ـ اهكذا يدعونك الآن فى استرلساو ؟

ـ فى الوقت الحاضر ، اجل

ـ اذن هذا هو السبب فى هدوء المدينة وعدم تنكيس الاعلام

ـ اكنت تتوقع ان تراها منكسة ؟

فقال روبرت بلهجة الشاكى :

ـ ان المرء يحب دائما أن يبدى الناس اهتماما بنتائج أعماله ، وعلى كل حال فى استطاعتى ان اجعلها تنكس وقتما اشاء .

ـ باذاعة النبأ ؟ وهل يجدى عليك هذا ؟

ـ عفوك .. ليس هذا ماقصدت . بل قصدى انه مادام للملك حياتان ، فمن الطبيعى ان يموت ميتتين .

فقال رودلف فى مزيد من الجد :

ـ سننظر فى هذا . وانت الآن وحدك فى موقفك ، فان ريشنهايم اسير بين يدينا ، واماتابعك الوغد بوير فقد قابلته ليلة أمس وحطمت له راسه .

ـ صحيح ؟

ـ وفى جيبك الشىء الذى اعنيه ، وهو ليس المسدس ، بل الخطاب ، فاعطنيه تنقذ حياتك .

ـ اتؤمننى اذا سلمتك اياه ؟

ـ ساحول دون قتلك ، وستبقى سجينا فى حصن من الحصون . .

ـ لمدة ؟

ـ لايمكن اخلاء سبيلك ،فأنت شاب ..

فضحك روبرت وقال له :

ـ هو السجن المؤبد اذن ؟

ثم رفع ذراعيه وراء راسه وتمطى كمن تعب من الحديث ، اظهارا منه لقلة اكتراثه بشأن راسندل ، ولكنه كان قد تجاوز الحد فى هذه المرة ، فقد وثب عليه راسندل وثبة سريعة فقبض على معصميه ثم استطاع بقوته الغالبة ان يلقيه على ظهره فوق المائدة التى كانت خلفه .

ولم يفه احدهما بكلمة ، بل كان كل منهما يحدق فى عينى صاحبه ، ويسمع انفاسه المترددة فلم تستطع الفتاة ان تعرف مايدور بينهما الا تخمينا ، ذلك ان مجال ثقب الباب كان محدودا لايكشف لها جميع انحاء الغرفة .

واستطاع رودلف ان يجمع ذراعى روبرت ببطء ، وكان روبرت يدرك غرضه فأخذ يقاوم بكل قوته ، ولكنه لم يكن كفئا لقوة رودلف ، وصار معصماه جميعا فى قبضة راسندل فهل تكفى يد واحدة لامساكهما وحبسهما ؟ لقد عول روبرت على تحدى ذلك بكل جهده محاولا الافلات فلم يظفر بجواب على ذلك الا ابتسامة من رودلف ،ففى وسع رودلف ان يحبس يديه فى يد واحدة ، ان لم يكن وقتا طويلا فلوقت يكفى للغرض المطلوب على كل حال .

وسرعان مادس يده الخالية فى جيب سترة روبرت فأخرج الخطاب ، وكانت نظرة واحدة كافية لمعرفته . وزمجر روبرت محاولا الافلات وهو يصيح :

ـ لعنك الله !

واستطاع فى هـــذه المرة انيفلت فقفز رودلف متراجعـــا واخرج مسدسه .ولكنهلميسبق غريمه فى هـــذا لحظة واحدة ، لان روبرتكان قد جرد مسـدسهايضـــا ، ووقف الرجلان وجها لوجه وليس بين سلاحيهمـــا الاثلاث أقدام .

ولم يكن امتنـــاع روبرت عناطلاق النار جبنـــا منه ، فمهما اطنب المرء فى سوءات الرجلفان احدا لم يعرف عنه انهخاف قط من الموت او جبن امام الخطر .وانما كان الرجل يفكر فى ظروفه تفكيرا هادئا ، فلو انه اطلق الناروقتـــل رودلف فرضا ، للفتت الضجة انتبـــاه الناس فتعذرتعليه النجاة . ولكنه من جهـــة اخرى مبـــارز ماهر بالسيف ،وهو فى اعتقاد نفسهيبذراسندل فى ذلك الفن ، فقال :

ـ لست من الرعاع ، فهل لكالآن فيما يكون بين الســـادة من قتال ؟ ان عندى هنا سيفين .

اما راسنـــدل فكان شديدالاحساس بالخطـــر الذى لايزال معلقـــا فوق راس الملـــكة . فاذاهو قتـــل روبرت لم يكن فى ذلك خير لو انه مات معـــه قبل انيعدم الخطاب . وهو لايستطيع ان يمزقه مادام مسدس روبرتمسـددا الى قلبه ، ولا يستطيع كذلك أن يصـــل الىنارالمدفأة فىالطرف الاخر من الحجرة . وهو ايضا لايخشى الاحتـــكام الى حدالسيف ، لانه قام بتمـــرينات عنيفة زادت من مهارته منذ كانفى روريتانيا فى المرة السابقة . فقال :

ـ أنت وما تحب ، فكلما ارجوه هـــو انهاء هذا الموضوع فى هذا الزمان وهذا المكان .

فقال روبرت :

ـ اذن ضع مســـدسك علىالمـــائدة .

فابتسم رودلف وقال :
ــ عفوك ! ضع انت مسدسك اولا !
ــ يبدو انني مطالب بالثقة بك حيث لاتثق بي انت ..
ــ تماما ! فانت تعلم انك تستطيع ان تثق بي وتعلم ايضا انني لااستطيع ان اثق بك .

فتضرج وجه روبرت، لانه قديفطن في بعض الاحيان الى راى ذوى الشرف فيه ، ورشق رودلف بنظرة غاضبة وزمجر قائلا :
ــ انك قد لاتطلق النار ، ولكنك خليق ان تعدم الخطاب .
ــ انى لن امسه .. وانت تعلم هذا . . .

فالقى روبرت مسدسه على المائدة لاعنا ، ووضع رودلف مسدسه بجواره ، وخطاب الملكة فيما بينهما .

وكانت روزا فى هذه الاثناء لاتسمع الا كلمات متناثرة من حديثهما .. لانهما كانا يتحدثان همسا . ولكنها ما ان سمعت صليل السيفين واصطكاك أحدهما بالآخر حتى شحب وجهها وتلاحقت انفاسها . وكان السيفان يتقاطعان ويتصادمان ، وقد رأتهما من ثقب الباب يقدحان بالشرر ، وسمعت حركات اقدامهما السريعة هنا وهناك فى ارجاء الغرفة . ثم رنت صيحة واضحة مرحة ، هى صيحة روبرت . قال :
ــ تقريبا تقريبا !

فاجابه الملك فى هدوء :
ــ تقريبا ليس معناها تماما .

وعادت الى الاصغاء ، واستمرت المبارزة . وكادت تجن لانها لاتستطيع ان ترى الا اقل القليل، ثم بدا كما لو كان الملك قد حوصر عند الباب ، ورأته يتراجع الى جهتها خطوة فخطوة . فكان فى استطاعتها ان تلمسه لولا الباب .

وارتفع صوت روبرت الرنان ثانية :

ـ لقد ظفرت بك الآن ! فاتل صلواتك ايها الملك رودلف !

ـ اتل صلاتك أنت !

لقد بدأ القتال الحق ، لا هوادة فيه اذن . والملك، ملكها هى، هو الذى تتعرض حياته للخطر أوبصرخة خافتـــه دارت حول نفسها واسرعت هابطة ، وكانت امها تطبخ شيئا على النار فصاحت بها روزا :

ـ انه سيقتل الملك ! سيقتل الملك! اماه ، ماذا نصـــنع ؟ . انه سيقتل الملك ؟

فقالت العجوز :

ـ دعيهما وشـــانهما ، فليس هنا ملك

فصاحت روزا فى يأس :

ـ ينبغى ان اصرخ مستغيثة .

فاسرعت امها نحوها وتناولت ذراعها وقالت لها :

ـ كلا كلا ! دعيهما وشأنهمـــا ايتها الحمقـــاء ! ليس هذا من شأننا . فدعيهما وشأنهما !

ـ اطلقينى يا اماه .

فقالت الام هولف :

ـ لن اطلقك .

ولكن روزا كانت شابة وقوية فنفضت عنها يد امها واسرعت تجرى من المطبخ مخترقة الدهليز ففتحت الباب فى لحظـــة واحدة وادهشها أن ترى تجمع الناس فى الخـــارج ولكن ذلك لم يحل بينها وبين الصياح :

ـ النجـــدة النجـــدة ! الملك الملك !

وفي قفزة واحدة كنت بجوارهاتم في داخـل البيت ، وسمعت بجواري صوتا يصيح بي :

ـ بسرعة !

وكان ذلك صوت برنشتاين . فأسرعنا نصعد الدرج معا وثبا.

يدين رودلف بنجاحه ، وبحياته للتمرينات التى قام بها فى فنون السيف اثناء السنوات الثلاث التى اعقبت زيارته لروريتانيا . وقد قال سابت فيما بعد ذلك ان راسندل كان يشعر ، ولا شك فى قرارة نفسه طيلة ذلك الوقت بانه راجع لامحالة وملاق الفتى روبرت مرة اخرى . والا فلماذا ثابر على تدريب نفسه على العاب السيف ؟

وادرك روبرت الحقيقة شيئا فشيئا ، فعلم انه لن يستطيع قهر مقاومة رودلف وتحطيمها . واعجزه ان يفهم السبب ، وقرا راسندل فى وجهه الدهشة والخيبة ، بل والاستمتاع ! فما ان تحقق روبرت من ذلك حتى فكر فى خطة اخرى ، ثم شرع يتراجع خطوة خطوة كان التعب قد نال منه . وكان متعبا حقا ، ولكن لا كما ادعى . وتقدم رودلف ملحا فى الهجوم ، حتى اصبح فى وسط الحجرة بالقرب من المائدة . وكان هذا ما يرمى اليه روبرت ، لانه كان يريد ان يلعب لعبته الاخيرة .

وبدا للرجل الذى لا شرف له ان من الهين عليه التقاط مسدس من المسدسين المطروحين على المائدة فيختم القتال كائنة ماكانت النتيجة . وعلى حين غرة طار السيف من يده واستقر على الارض . وقال له رودلف غير مستريب :

ـ التقطه .

ـ ستقتلنى وانا التقطه .

فخفض راسندل سيفه ، فمد روبرت يده نحو المائدة ، بيد ان شيئا ما فى سحنته انذر رودلف بما يوشك ان يقع ، فالقى سيفه ووثب عليه . وكانت احدى يدى روبرت قد قبضت على مسدس . ولم يسمع احد منهما الضجة التى

احدثناها صاعدين الدرج . ووصلت انا الى الباب اولا ، وكان ريشنهايم فى اعقاب برنشتاين، ومن ورائه عشرون رجلا اقتحموا البيت . واتجهت الى الغرفة جريا ، ودخل برنشتاين من ورائى ثم اغلق الباب بظهره العريض . وفى هذه اللحظة عينها دوت طلقة مسدس .

ووقفنا نرقب المشهد المثير . وكان دخان الطلقة يتلوى فى الهواء ، ولكن لا يبدو ان احدالرجلين قد جرح . وكان المسدس فى يد روبرت ، ولكنه كان محصورا فى الحائط ، وقد رفع رودلف باحدى يديه ذراع روبرت اليسرى فوق راسه ، وقبض بيده الاخرى على معصمه الايمن . وتقدمت خطوة ، بيد ان مراى وجه رودلف اوقفنى حيث كنت! فقد كان شديد الشحوب ، وقد زمت شفتاه ، وبرقت عيناه ببريق السرور والقسوة . ولم اكن رايته كذلك من قبل قط .

وكان روبرت يعض شفته السفلى باسنانه ، والعرق يتصبب من وجهه وقد نفرت عروقه وازرقت ، وتركزت عيناه على عينى رودلف . وجعل راسندل يقهر يد روبرت القابضة على المسدس على الانثناء الى الخلف فى نصف دائرة قليلا قليلا . حتى اصبحت يده الآن تشير الى النافذة ، ثم بعد ذلك اخذت تقترب من هدف هو روبرت نفسه . ثم غدت حركتها اسرع من ذى قبل لان مقاومته بدات تضعف . لقد هزم روبرت ، وشعر بذلك وادركه ، حتى قرات ذلك فى عينيه . وخطوت نحو رودلف فرآنى وهز راسه . وقداصبح المسدس مسددا الآن الى قلب روبرت مباشرة .

وبحركة خاطفة افلت رودلف المعصم وقبض على اليد حتى صارت اصابعه فوق اصابع روبرت . . .

ولن ازيد على هذا . فقد ظل روبرت باسما حتى النهاية . وراسه المتغطرس لم يتطامن امام العار ولا امام الخطر .

وبرق بارق ، وسمع صوت ، ولما رفع رودلف يده هوى روبرت على الارض .

وتعالت صيحة من برنتشتاين ، ثم فتح الباب وأزيح برنتشاين من الطريق ودخل ريشنهايم ومعه العشرون الآخرون وكانوا جميعا يصرخون متسائلين عما حدث وعن مكان الملك . ثم ساد الصمت فجأة ، ذلك ان ريشنهايم جرى الى حيث كان ابن عمه ملقى ، وواجه رودلف الجميع لحظة ، ثم استدبرهم وتناول الخطاب من فوق المائدة فنظر اليه نظرة واحدة ثم مزقه قطعا صغيرة والقى بها فى النار . وانى لعلى ثقة من ان كل عين فى الغرفة قد تتبعت هذه القطع الصغيرة واخذت ترمقها حتى استحالت رمادا . وكذلك صار خطاب الملكة بمأمن آخر الامر .

واستقبل راسندل الناس مرة اخرى بوجهه وخاطبهم فى هدوء واناة ، كأنه يتخير الفاظه تخيرا . قال :

ـ ايها السادة . انى ساصدر بيانا كاملا عن هذا الامر فيما بعد . اما الآن فيكفى القول بأن هذا السيد الذى يرقد عنا صريعا قد طلب مقابلتى لشأن خاص . وقد جئت لمقابلته وفى ظنى اننى ساسمع منه كما ادعى شيئا خاصا وعلى انفراد ، فاذا به يحاول قتلى . وها انتم ترون عاقبة محاولته .

فانحنيت انحناءة عميقة ، واقتدى بى برنتشتاين ، ففعل سائر الحاضرين كما فعلنا . فاستطرد رودلف قائلا :

ـ سيصدر بيان كامل عن هذا الموضوع . اما الآن ، فلينصرف الجميع ماعدا الكونت فريتز تارلنهايم والملازم برنتشتاين .

وغادر الجمع المبهوت الحجرة على مضض ، ونهض ريشنهايم واقفا فقال له رودلف :

ـ لك ان تبقى ان شئت ..

فجثا ثانيا بجوار ابن عمه ، ثم اعناه على تسجية جثة روبرت فوق الفراش ، وغطيناه بملاءة . ثم قال رودلف :

ـ والآن هيا بنا نذهب الى الملكة فنخبرها ان خطابها بأمن .

واطللت من النافذة ، فوجدت الجمع قد زاد عدده ، وسيزداد ، فان الانباء التى من قبيل ذلك النبأ الذى حمله الى الناس العشرون شخصا الذين كانوا فى الحجرة ، تسرى سريان النار فى الهشيم . فما هى الادقائق حتى ينتشر الخبر فى استرلساو من أقصاها الى اقصاها ، وفى الدولة كلها بعد ساعة ، وفى أوربا بأجمعها فيما لا يزيد على هذه المدة بكثير .

لقد مات روبرت وصار الخطاب بمأمن . ولكن ماذا عسانا قائلين لهذا الحشد الحاشد عن الملك ؟

وخرجنا وخرج معنا ريشنهايم . وفى أسفل الدرج وقفت الام هولف وروزا . فهرعت روزا وجثت أمام رودلف شاكرة لله سلامته ، فخاطبها بلطف ، ثم أخرج ساعته الذهبية من جيبه ، وارانى الحرف الاول من اسمه منقوشا على ظهرها ر. ر (اى رودلف راسندل) ، ثم همس فى اذنى وهو يبتسم :

ـ رودلف ركس (اى رودلف الملك)

ثم دس الساعة فى يد الفتاة وقال لها :

ـ احتفظى بها تذكارا منى . ثم التفت الى العجوز وقال فى صوت رهيب صارم :

ـ لست أدرى الى أى مدى كنت مطلعة على ما كان يدبر ضدى فى الخفاء فى هذا المنزل . ولكن حذار ! ان أول كلمة

تتفوهين بها وأول بادرة تصدر منك ضدى انا الملك ، ستجلب عليك عقابا عاجلا لا ريب فيه

ونظرت اليــه المرأة مبهوتة مذعورة ولم تنطق .. فاستأنف مسيره وفتح الباب ثم خطا الى الشارع فاستقبلته الف حنجرة بهتاف عال وتهليل ، واخذت القبعات والمناديل تتأرجح فى الهواء معربة عن الولاء والسرور بنجاة الملك . وكانت قد أحضرت عربة أمام البــاب ، فانتزعوا منهــا جيادها وتأهب اثنا عشر رجلا لجرها طائعين . واستقل رودلف العربة رافعا قبعته ثم انحنى انحناءة خفيفة على الجانبين ، ثم تبعته انا وبرننشتاين ، وتردد ريشنهايم الى أن اشــار اليــه رودلف أن يركب معنا ، ومضت العربة الهوينا الى الامام ، والناس من حولنا راجلون ، ونظر الى رودلف مرة اثناء الطريق وابتسم على الرغم مما حــدث وما هو حادث حولنا .

واستغرق وصولنا الى القصر وقتا طويلا . فماذا يدرى الناس عن دواعى اهتمامنا بالتعجيل ؟ ولــكننا وصلنا اخــيرا فوجدنا هناك الضــباط والوزراء وعلى رأسهم المستشار وجميع الوجوه والاعيــان ، وتعالى الهتــاف والصياح ، ولكنه خفت فجاة ، ولم يســتغرق خفوته ســوى لحظــة ، ثم انبعث مرة أخرى كالرعد القاصف . وكنت ساعتئذ انظر الى رودلف فرايته يلتفت فجاة وقد لمعت عيناه ، فهنــاك على قمة درج القصر وعند بابه المفتوح وقفت الملكة وقد مدت يدها الى رودلف .

وقفز رودلف من العربة ، ثم لوح بيده للشعب واخــذ يرقى الدرج ببطء حتى وصــل الى الدرجــة التى تسبق الاخيرة ، وهناك جثا على ركبته وتنــاول يد الملكة فقبلها . وسمعته يقول فى صوت منخفض :

ــ كل شيء على ما يرام ، فقد مات وأحرقت الخطاب .

ووقف ، ثم التفتا معا ، وقد تشابكت يداهما ، فواجها استرلساو على بكرة ابيها ، ودوى الهتاف مرة اخرى ، وتملكت الحماسة برنشتاين فخلع قبعته العسكرية وصاح كالمجنون هاتفا :

ــ حفظ الله الملك !

وجرفني تيار شعوره ففعلت مثله . وتلقف الناس جميعا تلك الصيحة ، وهكذا نادينا جميعا نحن اهل استرلساو ، عامتنا وخاصتنا ، في ذلك الاصيل برودلف راسندل ملكا علينا

وبدا الظلام يخيم حتى صار من العسير ان نتبين وجوه الناس ، ولكن خيل الى على حين غرة انني رايت وجها شاحبا حول راسه ضمادة ، فامسكت برنشتاين من ذراعه وهمست وانا اشير الى الرجل :

ــ بوير !

ولكن الوجه اختفى في اللحظة عينها ، فشعرت كأن كل ذلك الفرح والسرور فارقني .

وانصرفنا اخيرا ، وقد كان الاعتذار بتعب الملك الشديد كافيا لانصراف علية الناس ، أما الآخرون فتفرقوا وابتلعهم الظلام ، وبذلك خلونا اخيرا الى انفسنا في حجرة صغيرة تطل على حدائق القصر ، وكانت هلجا قد انضمت الينا هناك ، فسمعنا من رودلف قصة ما فعل في يومه ذاك .

فلما انتهى منها ساد الصمت فقاطعه رودلف قائلا في بطء :

ــ يا فريتز ، متى بات الظلام حالكا انسللت .

فسألته :

ــ الى اين ؟

ــ الى بيت الصيد ، فيجب ان القى سابت وأتدبر الامر معه

ولم ادر ما كان يدور برأسه ، ولم احاول الحدس ، فقد كنت انظر الى الملكة . ولما رآني رودلف أفعل اتجهت نحوها عيناه ، فاذا هي شاحبة شحوب الموتى ، وقالت :

ـ رودلف ! حلمي يا رودلف ! لا استطيع أن ادعك تذهب ثانية ، فان ذلك سيحطم قلبي .

فهمس في أسى شديد :

ـ لابد لي أن اذهب يامليكتي ..

ـ وهل سوف أراك يارودلف ؟

ـ ربما يا اعز الناس . ولكن ليس الآن ولا هنا في روريتانيا .

فاضاء وجهها بفرحة وليدة وقالت :

ـ سآتي اذن انا يوما ما ..

فقال :

ـ لا اجسر ان اطلب اليك هذا . فالخيرة لك ، ولكنك تعلمين انني ساكون دائما في الانتظار .

وتبدلت الملكة تبدلا تاما ، فقد ملأ الامل قلبها ، ولم يكن وقت الانتظار شيئا مذكورا عندها ، فقد أدركت أنها قد انتوت النزول عن العرش بعد فترة معقولة . أما انا فقد احسست بآمالي الدفينة تتحطم ، ذلك انني كنت أريد أن يكون رودلف ملكا ، وكنت واثقا أن برنتشتاين يريد ذلك أيضا . وأما سابت فليس في شعوره ريب . ثم لم يكن واضحا في ذهني كيف سيتسنى لرودلف أن يتركنا الآن ، فقد فعل القدر كل شيء كيما يبقيه هنا . وليس من حائل دون بقائه سوى الام هولف ، ونحن مستطيعون أن نخرس لسانها ، وبوير الذي ينبغي ان يبت في أمره بشيء .

وقطع على رودلف حبل افكاري قائلا :

ـ يا صديقى القديم فريتز ، هذه خطتى ، أتراها صائبة ؟
فأجبته ساخطا :
ـ كلا يا مولاى !
فقلدنى ضاحكا ثم أقبل نحوى فوضع احدى ذراعيه فى ذراعى والاخرى فى ذراع برننشتاين ثم قال :
ـ أيها الوغدان ! أنتما اذن غاضبان لاننى آبى أن أخدع فى سبيل نفعى الشخصى ، فى حين قبلت عن طيب خاطر أن أخدع من أجل سواى .
ولم يجبه منا مجيب ، بيد أننا تناولنا يده فشددنا عليها فى حرارة وولاء . فقال رودلف :
ـ ذلك خير ، والآن اسمعا ! سأركب انا وبرننشتاين علنا الى بيت الصيد ، حتى يعلم كل امرىء الى اين انا ذاهب ، وغدا فى الصباح الباكر حينما اصل الى هناك ...
وقطع عبارته صوت ضجة فى الخارج ، وصاح صوت غليظ :
ـ افسحوا الطريق يا هؤلاء !
فهتفت :
ـ انه سايت !

من أجل حبنا..

وجريت الى النافذة ، فاذا هو سابت فعلا ، يشق على صهوة جواده كالمجنون جموع الناس الذين كانوا لا يزالـــون أمام أبواب القصر . وصحت :

ـ ان خادمك جيمس في رفقته

فقال برنشتاين :

ـ يا الهي !ماذا حدث ؟ لماذا تركا بيت الصيد ؟

وحدقت الملكة في وجل ، ثم نهضت واقفة واقبلت فوضعت ذراعها في ذراع رودلف ، ووقفنا هكذا مبهوتين وجلين نتبادل فيما بيننا نظرات خاطفة ، فماذا عسى ان يكون قدجاء بالرجلين من زندا، الان يكون السر قدافتضح ؟ فهل ينتظر ان يبغت اهل استرلساو بنبأ وفاة الملك في اى لحظة ؟

واخيرا دفع خادم الباب ففتحه ودخل سابت ملطخا من فرعه الى قدمه بالتراب والوحل، ومن ورائه جيمس في حالة لا تفضل حالته. وكان جليا أنهما ركبا ركوبا عنيفا، فقد كانت انفاسهما لا تزال لاهثة، وانحنى سابت للملكة أيسر انحناء ثم اتجــه نحو رودلف مبــاشرة فسأله ؟

ـ هل مات ؟

فأجابه راسندل :

ـ أجل . مات روبرت ! قتلته انا ؟

ـ والخطاب ؟

ـ احرقته . .

ـ وريشنهايم ؟

نقاطعته الملكة قائلة :

ـ ان الكونت لتزاو ويشنهايم سوف لا يقدم ضدى على قول او فعل .

فرفع سابت حاجبيه قليلا وقال :

ـ وبوير ؟

فقلت :

ـ بوير طليق فى الوقت الحاضر

فقال سابت وقد بدا عليه الاغتباط :

ـ هو بوير وحده اذن الذى لا يزال غير مامون الجانب . ووقع نظره على رودلف وبرننشتاين ، وقد ارتديا ملابس الركــوب ، فاشار الى احذية الركوب وقال :

ـ الى اين فى هذه الساعة المتاخرة ؟

فقال راسندل :

ـ كنا سنذهب معا الى بيت الصيد لنقابلك ، ثم أمضى وحدى الى الحدود . .

ـ خطوة خطوة من فضلك ، ففى وسع الحدود ان تنتظر الآن . . فلماذا كنتم جلالتكم تريدون مقابلتى فى بيت الصيد !

فقال رودلف :

ـ اريد ان اعد التدابير الكفيلة بالا اظل « صاحب الجلالة »

فجلس سابت وخلع قبعته العسكرية وقال :

ـ خبرونى اولا ماذا حدث اليوم فى استرلساو ؟

فقلنا له كل شىء بايجاز ، وكان يصغى لنا دون أن ينبس ببنت شفة ، وخيــل الى انى رايت عينيه تومضان عندما قلنا له ان استرلساو كلهــا قد هتفت لرودلف على انه الملك ، كان يقــارن ذلك بسر يخفيه فى صدره . أما جيمس فوقف عند الباب ، ولكنه كان يتتبع المشهد باهتمام عظيم ، فلما انتهى كلامنا التفت رودلف

الى سابت وقال له :

ـ وسرك انت ... هل هو فى أمان ؟

ـ اجل . فى أمان كاف .

ـ الم يرك أحد وانت تخفيه ؟

ـ كلا ... وما من احد يعلم ان الملك مات .

ـ اذن ما الذى جاء بك الى هنا ؟

ـ جاء بى الى هنا ما كان سيذهب بك الى بيت الصـــيد كى تقابلنى يامولاى !

ـ وهل تركت بيت الصيد بلا حراسة ؟

فقال سابت :

ـ بيت الصيد بمامن فلا تخف

وكان جليا أن ثمت سرا جديدا فى الموضـــوع ، ولم اطق صبرا فتقدمت وقلت :

ـ ما المسألة ؟ خبرنا ياكولونيل . .

فنظر الي ، ثم الى راسندل ، وقال له :

ـ احب أن اسمع وجهة نظرك اولا . .

وتقاربنا ، ثم اخذ رودلف فى الكلام ، قال :

ـ سيصل الملك الى بيت الصيد فى بكرة الصباح . فماذا يحدث له هناك ياسابت ؟ اترى أن يصيب نفسه بطلق نارى قضاء وقدرا ؟

ـ ان هذا يحدث أحيانا

ـ أو هل يقتله قاتل ؟

ـ ولكنك قتلت اليوم اعتى القتلة يا مولاى !

ـ ... ويجوز أيضا أن يقتله هربرت الحطاب المسكين عفوا ، ثم يقتل نفسه أسى على ما جنى ...

ـ كل هذا جميل ، ولكن الاطباء يعرفون فى العادة القتل من الانتحار ،

ووقت الاصابة ...

ـ فى الاطباء قوم فقراء ، يمكن ان يشروا ... بشروط !

فابتسم سابت وقال :

ـ لديك جواب لكل سؤال ..

فقال رودلف :

ـ المسألة محفوفة بالخطر طبعا ، ولكن متى رأى الناس جثة الملك ..

فقاطعه سابت قائلا :

ـ هذا هو مربط الفرس .. ان الناس لا يمكن ان يروا جثة الملك

فنظرنا اليه كلنا مذهولين ، وكنت انا شديد القلق ، لانني كنت مدركا ان لديه ما يطلعنا عليه .. فقال سابت وهو يقف على قدميه :

ـ ان خطتك بديعة . ولكنها مثلومة من موضع واحد ، هو انه لا جثة هناك ..

وحتى رودلف فقد اتزانه العصبى ، فامسك بذراع سابت وصاح :

ـ لا جثة هناك ! ماذا تعنى ؟

فنظر سابت الى جيمس ، ثم بدا يقول فى صوت آلى كانه صبي فى المدرسة يلقى درسه المحفوظ :

ـ ان هذا المخلوق المهمل هربرت قد ترك نلونمو قدة قريبا من الموضع الذى يحفظ به البترول والخشب وبعد ظهر اليوم ، فى نحو الساعة السادسة ، كنا ناخذ قسطا من الراحة انا وجيمس بعد الغداء ، فجاء جيمس وايقظنى فى الساعة السابعة ، فاذا غرفتى ملأى بالدخان ، واذا بيت الصيد وقد شبت فيه النيران . فقفزت من فراشي ، وكانت النار حينئذ اكبر من ان نطمع فى اخمادها .. فلم تخطر لنا الا فكرة واحدة ..

ووقف عن الكلام ، ثم نظر الى جيمس ، فقال جيمس بهدوء :
ـ فكرة واحدة هى انقاذ « رفيقنا »
ـ اجل ، انقاذ رفيقنا ، فاسرعنا الى باب الحجرة التى كان فيها ، وفتحت الباب وهممت ان ادخل ، ولكنى وجدت أن هذا معناه الموت المحقق . . وحاول جيمس ، ولكنه اخفق ، وحاولت انا ثانية ، بيد ان جيمس جذبنى فأرجعنى . . فكان علينا ان ننجو بانفسنا ، لان البيت قد امسى كله شعلة من نار . فجرينا الى الخارج واخذنا نرقب البيت الخشبى الى ان استحال رمادا اسود . . وأسرعنا بعد ذلك نطلب النجدة ، لان كثيرين من الفلاحين والحطابين كانوا قد راوا النار فجاءوا . وسنح لنا حينئذ أن ندخل بين الانقاض ، فوجدنا ما خيل الينا انه جثة بوريس كلب الصيد . . وفى الحجرة الاخرى وجدنا جثة محترقة ، خيل الينا من ازرار ثوبها المعدنية انها جثة هربرت . . وكانت هناك جثة اخرى لايمكن تمييزها تقريبا . . وقد رأيناها جميعا ، كما رآها الفلاحون والحطابون . ولم يستطع احد ان يخمن جثة من هى ، عدا جيمس وعداى فركبنا جوادينا فورا ، واتينا مسرعين لكى نبلغ الملك الامر .
وانتهى سابت من درسه ، او حكايته ، فاخفت الملكة وجهها فى راحتيها . . ووقفت انا وبرننشتاين نحملق فى سابت ببلاهة ، غير فاهمين هل ما قاله جد او مزاح . .
فقلت :
ـ وجثة من كانت تلك ياكولونيل . .
ـ جثة المدعو مستر راسندل ، من اصدقاء الملك . وها هو خادمه جيمس الموجود هنا الآن على اتم استعداد للسفر الى انجلترا لابلاغ النبأ المحزن الى آل المستر راسندل .

وفهمت عندئذ .. أن المستر راسندل مات، وان الملك حي في «استرلساو» .. وهذا ما رتبه سابت وجيمس . ولم اعرف الحقيقة الا بعد ذلك بمدة مديدة ، فقد كانت الفكرة فكرة جيمس، بيد أنه وجد في سابت اذنا صاغية .. ثم نفذ الاثنان فكرتهما بسرعة وهدوء ، فأحرقا بيت الصيد ، مبيتين النية على اكراه رودلف بهذه الطريقة على ان يبقى ملكا على روريتانيا .

وتكلم راسندل فجأة ، فكان صوته واضحا غضوبا .. قال:

ـ كل ما قلت كذب يا سابت! ..

فقال سابت :

ـ ليس من الكذب في شيء ان بيت الصيد قد احترق ، وان الجثث احترقت معه ، وان خمسين رجلا عرفوا ذلك .. اما البقية فكذب ، ولكني احسب ان جانب الصدق من الرواية سيكفي لتصديقها وسريانها ..

ووقف الرجلان . كلاهما في مواجهة الآخر ، وقد صمم كل منهما على تغليب رأيه . وقد أدرك رودلف على الفور لباب الاحبولة .. فقد كان مستحيلا احضار جثة الملك الى استرلساو ولم يكن اعلان إن الجثة المحترقة هي جثة الملك أقل استحالة .. فقد شوهد الملك بعد الحريق في استرلساو على ملأ الناس .. وخطر لي في لحظة ما ان الرجلين سيتماسكان .. وأخيرا سيطر رودلف على غضبه وقال ببرود:

ـ انكم مصممون جميعا على ان تخلقوا مني نذلا .. فهذا فريتز وهذا برننشتاين هنا يريدان ذلك .. وهذا أنت ياسابت تحاول اكراهي . وذاك جيمس هناك يضمر الرغبة عينها فيما أرجح ..

فقال جيمس في أدب :

ـ انى اقترحتها ياسيدى !

ـ هذا ماظننت • انتم جميعا تريدون ذلك • ولـكنى لااقبل الاكراه •• وانى أرى الآن انه ليس للامر الا مخرج واحـد ، وهذا المخرج هو الذى سأسلكه •

ولم ينطق أحد منا ، أما الملكة فلم تفارق عيناها وجهه • فقال :

ـ مابى حاجة الى ذكر أى شىء عن خطاب الملكة • ولكنى سوف أقول للناس اننى لست الملك • واننى مثلت دور الملك لكى أخدم الملكة وأعاقب روبرت هنتزو •• وهذا كاف لتقطيع الشراك التى احتمها سابت حول ساقى ••

وكان يتكلم فى حزم وهدوء ، حتى اننى عنـــدما نظرت اليه دهشت لرؤية شفتيه تتحركان ولرؤية العرق يتصبب عـــلى وجهــه •• فأدركت أى صراع هائل عنيف قد احتدم فى سريرته قبل أن يستدبر الفتنة والاغراء • فتقدمت منـه وتناولت يده ، فكأنى بذلك قد هدأت من ثائرته فقال :

ـ سابت . سابت ! لقـــد أوشكت ان تجعل منى وغدا ..

ولكن هذا التلطف لم يؤثر فى سابت ، الذى كان يذرع الحجرة فوقف واشار بأصبعه الى الملكة وصاح به :

ـ كدت اجعـــل منك وغدا ! وماذا أنت صـــانع بملكتنا التى نخدمها جميعا ؟ .. ماذا ستجعل منها تلك الحقيقة التى ستنشرها على الناس ؟ الم تقـــولوا لى منذ برهة كيف رحبت بك وهشت لك امام استرلسا ومجتمعة ، على انك زوجها وحبيبها ؟ .. افهل سيصدقون انها لم تكن تعـــرف زوجها حقـــا ؟ أجل تستطيع ان تظهر للناس وتقول انهم ماكانوا ليعرفوك ، ولكن هل يصدقون انها هى ايضـــا لم تعرفك ؟ وكيف يتأتى أن يكون راسندل فى بيت

فريتز مع الملكة فى حين كان الملك فى بيت الصيــــد ؟ لقد كلفنا الحفاظ على سمعتها من كلمــة تقال حياة ملك ورجلين .. فهل ستكون انت الانسان الذى يطلق كل لســان فى استرلســاو بتجريحها ، ويرتفع كل بنــان ليشير اليها بالاتهام ؟

ولم يجب رودلف ، ولكن وجهه كانت تعلوه صفرة الموت ، فاستطرد سابت قائلا :

ــ ونحن ؟ نحن اصدقاؤك ؟ ألم نقف بجوارك كما وقفنا بجوار الملكة ؟ سواء فريتز ، أو برننشتاين أو انا .. ؟ فاذا أعلنت الحقيقة فمنذا سيصدق اننا كنا مخلصين للملك ، واننــا لم نــكن ندرى الحقيقــة ، واننا لم نســاعدك خيانة الملك ؟ وربمــا قيل اننا عاوناك على قتـــله ؟ . . آه يارودلف راســندل ! حمانى الله من ضمير يســـول لى الا اكون صادق الولاء للمراة التى أحب أو الاصدقاء الذين يحبوننى !

ولم أكن رأيت الرجل فى هذه الدرجة من التأثر .. فقد جرفنى فى تياره ، كما جرف برننشتاين .. وانى اعلم الآن اننا كنا قابلين للتأثر فعلا برأيه ، لاننا فى الواقع لم نكن بحاجة الى اقناع .. فالخطر الذى كان يتهـــدد الملكة على الاقل كان صحيحا وملموسا وهائلا ..

وطرأ تغير مفاجىء على سابت ، فقبض على يد رودلف وقال له فى صوت منخفض متهدج :

ــ رودلف ، لاتقل لا .. فهذه ابدع سيدة فى الدنيا وقد أضناها الهيــام بحبيبها . وهذه ابدع ملكة فى الدنيا وقد اضناها الشوق الى ملك بمعنى الكلمة ، وأولاء خير اصدقاء يمكن ان يرزقهــم انسان وقد اضناهم الشوق الى ان ينادوا بك سيدا عليهــم .. ليس لى بسريرتك علــم ، ولكنى أعلم تمــام العلم ان الملك مات ،

وان مكانه شاغر ، ولست ارى سببا يبرر ارســال الله اياك الى هنا الا أن تكون ارادته هي أن تسد ذلك المكان الخالى . فاقبل يارودلف ، من اجل حبنا ، ومن اجل سمعتها .. ولو انه كان حيا لكان قتلك بيـــدى اقرب من وصولك اليهــا . ولكنه مات ، فاقبل الآن .. من اجل حبنا ، ومن اجل سمعتها !

وكان وجـــه رودلف مايزال شاحبـــا ، فلم يقل شيئا ، ولم يتحرك ، حتى التفت اخيرا ونظر الى الملكة .. فهمت واقفة ثم ارتمت على قدميه . وصاحت :

– اجل يارودلف .. من اجلى !

فقال لهـا فى صوت خافت ، وراحـة يده تلامس شعرها فى لطف :

– حتى انت ضدى يامليكتى؟



من اجل حبنا

قضــاء الله !

أحسبنا كنا جميعا مجانين فى تلك الليلة ، سابت وبرننشتاين وانا . . كان الامر قد جرى فى دمنا وصار قطعــة منا ، حتى اصبح مقضيا فى نظرنا . . فشغل سابت نفسه باعداد البيان الذى سيصدر عن الحريق الذى التهم بيت الصيد ، حتى يبعث به الى الصحف . . وجاء فيه تفصيــل واف عن حضور رودلف راسندل لزيارة الملك ، ومعه خادمه جيمس . . ولكن جد ما أستدعى حضور الملك الى عاصمته فجاة . . . وبينما كان راسندل ينتظر عودة الملك ، وقع له الحادث المشئوم . وكان الملك يكتب رسائل التعزية الى اسرة الفقيــد ليحملها خادمه جميس . .

والى مائدة أخـــــرى جلس برننشتاين يرســـم بمســاعـدة سابت ومساعــدتى معالم قصة محــاولة روبرت هنتزو الاعتداء على حياة الملك ، وشجــاعة الملك فى الدفاع عن نفســه . . فجاء فى البيان ان روبرت كان ملتهفا على العودة الى روريتانيا ، وتمكن من اقناع الملك بمقابلتـــــه بحجة ان لديه ورقة هامة ذات طابع سرى فتوجه الملك لمقابلة روبرت ، ولكنه رفض فى انفة شروط روبرت التى عرضها مقابل تسليم تلك الورقة فهجم روبرت على الملك ، فكان مايعلمــه الجميع . . ولمــا وجد الملك ان الورقة تتضمن اسمــاء أشخاص من ذوى المكانة ، فقد أحرقها بدون أن يطلع عليها أحد أمام اعين الناس الذين خفوا لنجدته.

اما البـــاقون فكنا واثقين من كتمانهم للسر : فالمراة العجوز الام هولف ستكتم ولا شك خشيــة على نفسها ، واما ريشنهايم فقد صار من رجـــالنا . واما بويرفــيقبض عليه ويقطع لسانه عن الكلام . وبفرض انه حاول الكلام فمن ذا الذى يصدق رواية خادم أجنبى طردته أنا من خــــدمتى لصوصيتــــــه ؟ واما رودلف

فسيكون فى اعتقاد أسرته شخصامات . وسيعقد له على الملكةسرا، ولم يكن سابت يرى فى ترتيب مراسم ذلك الزواج صعوبة تستحق الاعتبار .

ولكن رودلف نفسه لم يقل كلمته بعد . ولم يكن سبب صمته اعتقاده الخطر او صعوبة تنفيذ هذه الخطة ، فقد كان تردده ناجما عن تفكيره فى هذا الامر : « ينبغى ان يتم ، وليس فى الامكان اتمامه » فقد كانت المسألة فى نظره ماسة بالشرف ، لانها تتعلق بانتفاع شخصى من وراء خداع الشعب ، وذلك امر ماكان ليروقه . لقد رضى عن طيب خاطر ان يحل محل الملك فى الزمان الخالى خدمة للملك ، ثم حل محله مرة أخرى خدمة للملكة وكان فى رفضه راسخا كالجبال الى ان ذكره سابت بالخطر الذى يتهدد سمعة الملكة اذا هو اعلن الحقيقة . وحتى فى الوقت الحاضر كان لايزال مترددا فى القبول ، فلم يصدر قراره الاخير بعد .

وذهبت الملكة الى غرفتها لتستريح وكانت هلجا معها . ووقف سابت ، فقد كان كل شيء معدا ولا ينقصه الا قرار رودلف وموافقته ، فقال له سابت وهو يتطلع اليه :

ـ اذن ؟

فمشى رودلف الى النافذة واطل منها على النيل الساكن . وكان نفر قليل من الناس لايزالون واقفين بجانب بوابات القصر ، ومن ورائهم كان القمر يفضض بنوره الميدان الخالى ، وقال رودلف وهو يلتفت الينا :

ـ احب ان اتمشى قليلا فى الحديقة لافكر فى الموضوع .

فلما نهض برنتشتاين واقفا قال له رودلف .

ـ كلا . سأذهب وحدى .

فقــال سابت وهو ينظر الىالساعة التىكانتتشير الى الثانية صباحا :

ـ أجل اذهب ؟

فابتسم رودلف وقال :

ـ لن تستطيعخداعى ياسابت ، وساذهب انأنا قررتالذهاب كائنا ما كان الوقت .

فضحك سابت وقال :

ـ اعرف هذا .

ـ وهكذاتركنا ، فانصرفناالىخططنا ومناقشاتنا نصف ساعة ثم دخـــــل خادم وادخل عليناريشنهايم الذى سألنا :

ـ ماذا قررتم ؟

فأجاب سابب :

ـ نحن لانقرر شيئا .

ـ اذن ماذا قرر مســـتر . .ماذا قرر الملك ؟

فأشـــار سابت من خــلال النافذة وقال :

ـ والملك ايضـــا لايقرر شيئايالورد . هـــــذا القمر هو الذى سيقرر ، فهو فى هذه الساعة امالن يولى ملــكا او يخلعه ، ولكننى لا ادرى اى هذين سيختار .

فسأل ريشنهايم فى دهشة :

ـ يولى ملكا ؟ اعدتم الى هذا ؟

ـ نحن فى انتظار قرار القمر .

ـ لقد اعطيتالملكةوعدالشرفوساخدمها حتى فى هذا ان هى امرتنى .

فتناول سابت يده المضطربةوقال :

ـ نحن نثق بك .

وفى هــذه اللحظة دفع الباب ففتح ودخلت الملكة تتبعها هنجا. وكانت بادية الذعــر ، فاتجهت نحوى مباشرة وقالت :

ــ الحلم يافريتز ! لقد اضطجعت لحظة فغفوت ، فاذا بالحلم يتراءى لى مرة اخرى . فرايت رودلف ــ وكانوا يدعــونه الملك كما دعوه اليوم ، ولكنهم لم يكونوا يهتفون مهللين . وكان هو راقدا جامدا لايسمعهـــــم ، فأين هو يافريتز ؟ اين تركته يذهب ؟

ــ لقد آثر ان يتمشى ياسيدتى وحـــده . وقــد أمــرنا ــ واقول امرنا ــ الا نذهب معه .

ــ اين ؟ اين ؟

ــ فى الحديقة . ساذهب توالافتش لك عنه .

فصاحت فى اضطراب شديد وهى تتجه نحو الباب .

ــ اجل ، يجب ان نبحث عنه

وتبعناها جميعا ، وسابت فى مؤخرتنــا يزمجر ساخطا على وساوس النساء واخيلتهن .

ووصلنــا الى خلف القصر ثم خرجنا منــــه . وهناك راينا رودلف يتمشى جيئة وذهوبا فى ظل صف من الشجر ، قريبا من ســور القصر . فوقفنا جميعا واخذنا نرقبــه ، دون ان يتكلم احد منا ، فهــو اذن لم يكن قد استقر بعد على رأى .

وعلى حين غرة ندت عن سابت اشارة دهشة ، لم تسمعها الملكة بيــد انى سمعتهــا ، واشــار الى خــدوش وآثار فى الخشب المحيط بقفــل الباب ، فنظرت الى سابت فاذا به يزم شفتيه بحركة ذات مغزى ، فقد بدا لنا كأن احــدا كان يحاول الدخول عنوة باغتصـــاب الباب ، وكان أيسر الاشياء فى موقفنا الراهن كافيا لاثارة الخوف فينا ، لهذا ملأت الريبة وجه سابت ، فمنذا الذى حاول الدخول ؟ انه لايمكن ان يكون لصــا عاديا ، فاللص

العادى يستخدم من الوسائل والآلات ماهو خير من هذا .

واسترعى رودلف انتباهنا مرة اخرى ، فقد كان ينظر نحو القمر ، ورأينا على وجهه مادلنا بوضوح على انه قد وصل الى قرار فيما اعتزم أن يفعل ، فقد تلاشى الشك من نفسه وحلت محل الحيرة ابتسامة انفرجت عنها شفتاه ، فعلمنا جميعا ان جوابه بات حاضرا ، ولم يستطع سابت ان ينتظر اكثر مما انتظر ، فتقدم فى المشى واخذ يدنو من رودلف الذى أحس باقترابه ولكنه لم يتحرك من موضعه ، بل نظر الى سابت وعلى وجهه تلك الابتسامة الهادئة بعينها ثم مد اليه يديه ، فتناولهما سابت وزمجر قائلا :

ــ علام عولت ؟ الاقدام أم احجام ؟

وتعلقت الملكة بذراعى تعلقا شديدا فى انتظار الكلمة الواحدة التى كانت تعنى لديها كل شىء.

وفى هذه اللحظة قفز شخص من وراء صف الاشجار الطويلة القائمة فصار خلف راسندل مباشرة. فصرخ برننشتاين وجرى مجردا سيفه . ولكن قبل ان يصل دوت فى السكون المخيم على الحديقة طلقة نارية . فلم يفلت راسندل قبضته من بين يدى سابت ، وان خر بيطء على قدميه .

وبدا ان سابت لم يكن ليستطيع الحراك لشدة ما إصابه من ذهول المفاجأة . وصاح برننشتاين مرة أخرى :

ــ بوير ! يا الهى ؟ انه بوير !

وان هى الا لحظة حتى كان قد اخترق المشى ووصل الى الاشجار ، فاطلق بوير النار مرة اخرى ، ولكنه اخطأ الهدف ، وحالت ضربة سيف من برننشتاين دون المحاولة الثالثة . ونفذت الضربة فى جسده فتكوم القاتل بجانب شجرة .

وخفت قبضة الملكة عن ذراعى، فقد كانت تتهاوى فوق الارض فاسلمتها الى ذراعى ريشنهايم ثم جريت نحو راسندل ، فاسند راسه على قلبى وحرك شفتيه محاولا الكلام ، ولكنه لم يستطع فقد اصابته الطلقة فى ظهره .

وقامت فى القصر ضجة مفاجئة ، ففتحت النوافذ ، وخفت الاقدام مسرعة بعد لحظة ، اقدام الخدم والجند والضباط الذين التفوا بنا ، فقلت :

ـ لقد اطلق بعضهم النار على الملك .

وكان هذا كل ما استطعت ان اقول . اما سابت فكان لايزال صامتا غير مستطيع ان ينطق بكلمة .

وسمعت شخصا يقول :

ـ لقد ارسلت فى طلب الاطباء ياسيدى اللورد ، فلنحمله الى الداخل .

وكان هذا القائل هو جيمس . فحملناه ، انا وهو وسابت ، الى اقرب حجرة ، مارين بالملكة التى كانت قد بدأت تثوب الى رشدها ووضعنا الملك عن اذرعنا فى لطف ثم صرف برننشتاين الخدم والجنود ، ولم يلبث ان حضر طبيب فركع وفحص رودلف . ولم تكن بنا من حاجة الى سؤاله فكلنا قد شهد من قبل بشرا يفارقون الحياة ، وكان منظر وجهه كافيا لدينا لادراك الكارثة

ومال جيمس فوق سيده يبلل حلقه بقطرات من الماء ، فضغط رودلف على يده ، وتقدمت انا الى الطبيب فسألته :

ـ ما الخبر ياسيدى ؟

ـ قد يعيش الملك ساعة ياكونت فريتز . واظن ان غيرى من الاطباء لابد قادمون ، ولكنهم لن يزيدوا على ماقلت :

فعدت الى رودلف راسندل : فاذا عيناه تبتدارننى بالسؤال ، فلم اخدعه عن الحقيقة ، لانه كان رجلا واى رجل ، وانحنيت فوقه وقلت :

ـ انها ساعة يارودلف .

واقبل برنشتاين فجثا على ركبته وتناول يد رودلف فقبلها وتساقطت دموعه ، فابتسم رودلف ، واستطاع حينئذ ان يتكلم فقال :

ـ اهى آتية يافريتز ؟

ـ اجل ستأتى يامولاى

فقال فى صوت خافت وقد اغلق عينيه :

ـ لنعشها ساعة اذن .

ودخلت الملكة ، فتراجعنا جميعا حين ركعت بجواره ، وعانيت كثيرا حتى لايخوننى الدمع ، فما كنت لأدع راسندل يرى دموعى فى تلك الساعة ، فأزيد وداع الحياة عليه عسرة .

ولمس رودلف شعرها ، ثم امسك بيدها ، ولم يتكلما . .

وتقدم منه الطبيب مرة اخرى فلما جس معصمه اقبل علينا وهز راسه ، فاقتربنا من رودلف لاننا علمنا ان مقامه بيننا لن يطول ... واذا بالقوة كانها ارتدت اليه ، فرفع هامته وتكلم فى صوت واضح ، قال :

ـ لقد سالتمونى قرارى ، ولكن الله حسم الامر وقضى فيه قضاءه الذى لايرد .. وقد جهدت ان التزم ماينبغى فى الامر كله ، ياسابت . يابرنشتاين ، وانت ياعزيزى فريتز ، شدوا

على يدى . كلا ! لاتقبلوها ، فقدنفضنا أيدينا الآن من التمويه !.

فشددنا على يده كما طلب مناوبعد ذلك تناول يد الملكةورفعها الى شفتيه .. ثم قال فى وهن :

ـ لك قلبى ، ان حيا وان ميتايامليكتى ..

واستسلم الرقاد !

***

وما بى كبير حاجة ، ولا فىنفسى عظيم ميل الى ذكر ماتلا وفاة راسندل ، فان الخطة التىرسمناها لتمليكه علينا اجدت بعد موته ونجحت .. فهدهالام هولف قد اشتد بها الرعب حتى انها ماكانتلتجرؤ علىالبوح بما حدث لاقدم صواحبها .. وهذا ريشنهايم قد غدا منخدام الملكة المخلصين .. واما بوير فلم يعد فى مقدوره انيفتحشفتيه ..

وسجى جثمان رودلف فىقاعة القصر الكبرى ، وطفق الناس يمرون به ، ويكررون المرور ،مظهرين اساهم واجلالهم ..

وفى خارج القصر ، كانت ضجةخافتة تتصاعد منحناجر الناس وكنت انا مع الملكة فى جناحها ،فوضعت يدها على ذراعى وقالت:

ـ اتسمع يافريتز ؟ انه الحلم.. فهم يتحدثون عن الملك ، ولكنه حديث خافت يفيض اسى . انهم يدعونه ملكا ، ولكنه لايملك ان يسمعهم .. واها لك يا مليكى ! .

وورى التراب فى اليوم التالىفشيعته استرلساو على بكرة ابيها .. ولم املك نفسى واناأسير فى موكب الجنازة من التفكير فى مبلغ ماأدينا من الثمن كيلايفتضح السر ..

ولئن اتيح الشكوك ان تتجمع حـــول حى ، فما اعجزها عن الصمود امام حفرة القبر ..

وحيث وورى التراب ، قامت لوحة من الحجر ، نقشت عليهـا هذه الكلمات :

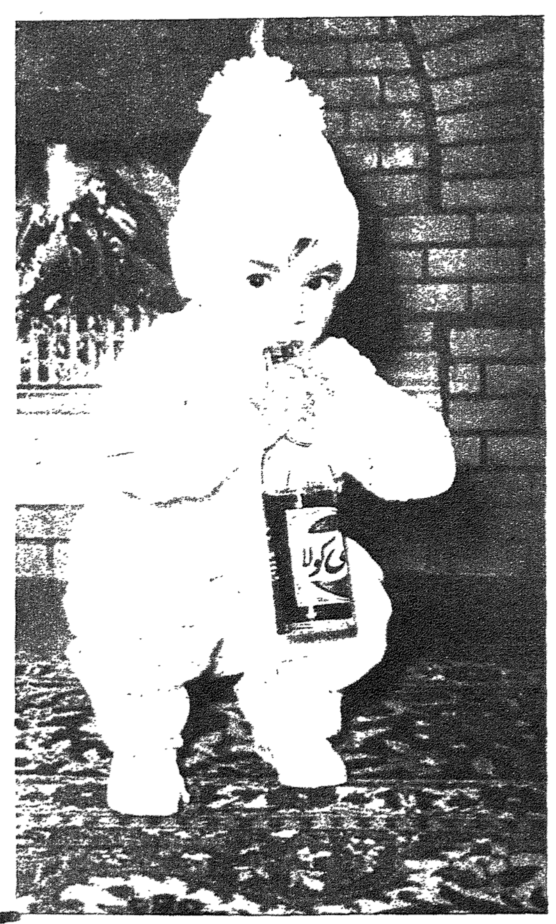
الى

رودلف

الذى ملك هذا البلد زمانا

وسيملك الى ابد الزمان

قلب فليفيا



ابنتي تحب • • بيبسي كولا

مدرسة الحب والزواج

حق على كل رجل وسيدة وعلى كل فتى وفتاة أن يقرا هذا الكتاب الممتع النفيس .

انه ادب وعلم وفن وفلسفة ، وضع فيه الأديب المفكر المطبوع الاستاذ ابراهيم المصرى عصارة فكره وقلبه وتجاربه الى جانب خلاصة محصوله الوافر فى الدرس والاطلاع .

انه كتاب لا غنى عنه ، فهو تبصرة بالحياة على حقيقتها وكشف امين نزيه لمشاكل كل رجل وسيدة وفتى وفتاة .

مدرسة الحب والزواج ليس قصة ، ولكنه مدرسة ، وهو مدرسة من نوع جديد مبتكر . انه اجمل من القصة بكثير .

انه كتاب اليوم الجديد الذى يحمله لك باعة الصحف فى ٣ فبراير المقبل .

لا يفوتنك هذا السفر النفيس ، وليكن هديتك التى لا تقوم ، لكل عزيز لديك .. لفتاك وفتاتك وزوجك ولكل من تحب .

الحيـــاة العصرية

لن تستطيع الادعاء بانك رجل عصرى اذا لم تساير روح العصر وتواظب علـى القراءة المفيـدة ، التى تحمـل اليـك تطورات الفكر الحديث فى كتاب من بعد كتاب وقد اصبح مقياس البيت الحديث فى العالم المتقدم أجمـع مكتبة البيت . لهذا عنيت ربة البيت فى البلاد المتمدينة برصد مبلغ متزايد من ميزانيتها لشراء الكتب وهى تستغنى عن كثير من كمالياتها لتزيد فى هذا البند . انها سيدة حكيمة ورشيدة فهى لا تهيىء لنفسها وزوجها وأولادها مدرسة منزلية فحسب تمتـاز بالطرافة والمتعة الى جانب الفائدة، ولكنها تضمن ــ وهى على حق فى ذلك ــ أن تستأثر بأكبر قسط من وقت زوجهـا وأولادها فى البيت وبذلك تضمن حياة عائلية هانئة وتجديدا دائما يشيع فى هذه الحياة البهجة والدفء .. انك يا سيدتى وانت يا سـيدى تستطيع أن تنشىء أسرة عـلى كتاب تقرؤه أنت وتقرؤه زوجتك ويقرؤه أولادك فتلتقى أفكاركم جميعا على شىء مفيد جميـل يحملكم دائما مع تطور العـالم وتطور الفكر الى آفاق جـديدة تدفع السأم وتملأ الفراغ الخطر الذى يؤدى دائما الى النكبـات العائلية .

ان مكتبـة بيتك هى عنوان هذا البيت وهى رباط أسرتك الذى يزداد احـكاما بكل حلقة جديدة تضيفها اليها .

((ودار اخبار اليوم)) ــ الدار المصرية الصميمة ، تبذل لك من اجل تحقيق هذا الغرض النبيل معونة صادقة وتضع فى خدمتك خبرة محرريهـا ومصـوريها وطباعيها وهى خبرة اكتسبتها بالدرس والتجربة وأثبتت دائما جـدارتها بثقتك وتأييـدك . تضعها فى خدمتك فخورة بهـا ومعتزة بك .

« كتاب اليوم » الذى تقدمه لك الدار فى الثالث من كل شهر ليس الا واحدا من مظاهر هذه الرغبة الاكيدة فى خدمتك وخدمة اسرتك واولادك .

ان « كتاب اليوم » هو نواة مكتبة الاسرة التى ينبغى ان تبادر الى انشائها فى بيتك .

والقائمون على « كتاب اليوم » حريصون دائما على ان يختاروا لك الكتاب الأصلح وان ينوعوا لك فى موضوعات الكتب وان يطلعوك على ثمرات العقول الناضجة فى مصر وفى الخارج وان يهيئوا لمكتبة بيتك نماذج مختلفة من الموضوعات والأقلام ثم هم حريصون على أن تنال كل هذه المتع والفوائد من غير ارهاق جيبك بل يتيحون لك الحصول عليها بأقل نفقة ممكنة .

واظب ايها القارىء العزيز وانت ايتها القارئة العزيزة على اقتناء « كتاب اليوم » فى كل ثالث من الشهر انها سعادة لا توصف أن تجلس السيدة بين زوجها واولادها ومعهم كتاب لذيذ وتزداد سعادتهم ولا شك حين يضعون هذا الكتاب بعد الفراغ من قراءته بين اخوته من الكتب فى مكانه من مكتبة بيتهم الهنىء .

أما فخرهم بمكتبتهم العصرية فحدث عنه ولا حرج خصوصا أمام الأصدقاء والزائرين .

الاشتراكات
فى مصر والسودان ١٠٠ قرش بريد عادى و١٢٠ قرشا بريد مسجل — فى البلاد العربية والبلاد الداخلة فى اتفاقية البريد ٢٥٠ قرشا بالبريد المسجل او ٣ جنيهات استرلينى وواحد شلن و ٦٫٥ بنس — فى البلاد الخارجة عن اتفاقية البريد ٤٥٠ او ٢٥ دولارا بالبريد المسجل

— (كتاب اليوم) —
صاحباه
مصطفى امين وعلى امين
رئيس التحرير
عبد العزيز عبد العليم
كتاب شهرى
يصدر عن
دار اخبار اليوم
الادارة والتحرير
والاعلانات والتوزيع :
شارع الصحافة
المراسلات :
صندوق بوستة رقم ١٠
تليفون ٧٧٧٧٧
عشرة خطوط



مطابع دار أخبار اليوم